الفصل التاسع

أساليبه ﷺ في التربية

كان رسول الله ﷺ يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتاً للعلم في ذهنه. ونسوق فيما يلي نماذج لهذه الأساليب والطرائق[1]:

نسوق هذه الوسائل لا لِنَجْمد عند حروفها.. ولكن لنفهمها ونتخذها أصولاً نبني حولها منهاجاً متكاملاً في التربية.

(1)
التربية بالقدوة

وكان من أهم وأعظم وأبرز أساليبه ﷺ في التعليم، العمل والتخلق بالسيرة الحسنة والخلق العظيم، فكان إذا أمر بشيء عمل به أولاً ثم تأسى به الناس وعملوا كما رأوه، وكان خُلقه القرآن، فكان على الخلق العظيم، وجعله الله أسوة حسنة لعباده، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[2].

وللقدوة تأثير بالغ الأهمية في تربية الفرد وتشكيل المجتمع.

فالطفل تتفتح عيناه على الحياة فيجد قدوته أمه وأباه يتطبع بهما، ويقلدهما في كل شيء إذا رآهما يصليان وقف معهما وتعلم الصلاة، وإن أحسّ منهما الصدق كان صادقاً، وإذا جرّب عليهما الكذب صار الكذب ديدنه، وفي الحديث عن

---

(1) الرسول المعلم- الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ص: 64.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 21.

رسول الله ﷺ عندما رأى امرأة تنادي ابنها وتقول: تعال أعطك. قال رسول الله: «**وما تعطيه؟**» قالت: أُعطيه تمراً، قال المعلم المربي ﷺ: «**لو لم تعطه شيئاً لكانت كذبة**»[1].

نبهها رسول الله ﷺ إلى خطورة المرحلة.. وأنها القدوة لطفلها الذي تربيه، فَلْتنتبه لكلامها.

يستغرب الآباء لمَ يتهرب الأطفال من البيوت للتدخين.. ويستغرب الأساتذة عندما يأوي طلابهم إلى ركن بعيد يدخنون فيه السجائر.. وكان الأحرى بهم أن يدركوا السبب: فهو الأب المدخن أو الأستاذ المدخن أو الزميل المدخن.

وكما يتعلم الطفل من أبويه طريقة كلامه وأسلوب مشيته، يتعلم منهما كذلك الأخلاق كالصدق والحب والوفاء.. فالطبع يسرق من الطبع، ورسول الله ﷺ يؤكد على أن الطفل «يولد على الفطرة وأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه». أي: يدفعانه في طريق الخير والإيمان والإسلام.. أو في طريق الشر والانحراف.

وكما الأسرة في عالم الطفل كذلك الصاحب في الشارع.. والإمام في المسجد.. والمدرس في المدرسة.. والموجه في الجماعة.. يجب أن يكون كل منهم عاملاً بعلمه، فلا يكذّب قولُه فعلَه، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴿٤٤﴾﴾[2]. وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[3].

إن وجود النماذج البشرية المتكاملة، وقيامها أمام الناس في شتى مراحل الحياة النامية، يعتبر من أنجع الطرق التربوية في مجالات الحياة السلوكية والانفعالية والعلمية والاجتماعية. فهذه الطريقة تقدِّم النموذج الحي الماثل

(1) أبو داود (كتاب الأدب- 4339)، وأحمد (مسند المكيين- رقم 15147).
(2) سورة البقرة، الآية: 44.
(3) سورة الصف، الآيتان: 2، 3.

للإنسان ولا سيما للأطفال والفتيان، وتستثير فيهما الميول الفطرية الأولية للاقتداء والتقليد. فالإنسان فيه ثلاثة ميول فطرية متفاعلة في هذا المجال:

- الميل للتقليد والمحاكاة.
- والميل لحب المشاركة الوجدانية والاندماج.
- والاستعداد لقبول الإيحاء والاستهواء.

وهذه ميول تربوية ذات أثر بعيد وعميق في تكوين النفس الإنسانية انفعالياً وإدراكياً وسلوكياً.

فالإنسان - مثلاً - حين يرى أو يسمع أمراً يعجبه، فإنه يجد نفسه مندفعاً بروح الإعجاب لمحاكاة ذلك الأمر المادي، أو السلوك الوظيفي، أو العادة السائدة. لأن في المشاركة الجماعية الوجدانية راحة وانسجام، بينما في الشذوذ والمخالفة نوع من الاضطراب النفسي.

فوجود النماذج الحسنة من الشخصيات الإنسانية ذات أهمية كبرى في صياغة السلوك وأنماطه، فالقدوة تقدِّم الأسلوب العملي الواقعي للحياة، وليس مجرد أقوال وعظات[1].

لقد كان للقدوة الحسنة الأثر العميق في تعليم المسلمين وتثقيفهم وتغيير اتجاهاتهم وتعديل سلوكهم والأخذ بيدهم نحو بناء الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي.

وشكَّلت شخصية الرسول ﷺ القدوة الحسنة التي تمثلت القرآن الكريم وحوّلت مبادئه ومعانيه إلى تصرفات وسلوك ومعاملات وأفكار ومشاعر. مما حدا بأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أن تقول عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ: «كان خُلُقه القرآن».

وتمكن رسول الله ﷺ - صاحب التطبيق العملي لمنهج القرآن الكريم - من وصل أصحابه بالله عن فهم ومعرفة وإيمان. وصلهم بالقرآن الكريم ففهموه على

(1) الرسول العربي المربي- د. عبد الحميد الهاشمي، ص: 443.

أنه أوامر للتنفيذ، فكان زاد قلوبهم ومطهر نفوسهم، وموجه سلوكهم والصلة بينهم وبين ربهم[1].

لقد جاءت الدعوة للاقتداء بالرسول الكريم ﷺ واضحة في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[2].

القدوة كالإمام

يقول الإمام الغزالي حول هذا الموضوع: القدوة كالإمام الذي يحتاج للاقتداء به في الصلاة. والمربي سواء أكان عالماً أو معلماً فهو كالإمام الذي يتحمل مسؤولية كبيرة ومن حق الناس عليه أن يكون قدوة صالحة. فإن العالم إذا لم يكن كذلك زلّت موعظته عن القلوب كما يزِلّ القطر عن الصفا[3].

وفي الطريق الطويل الممتد المبتدئ برسول الله ﷺ، والمستمر إلى قيام الساعة، وجدت نماذج أخرى تمثلت دعوته واستلهمت قدوته وتخلقت بخلقه.. فكانت قدوة صالحة اقتدى بها الناس وحققوا بعض التقدم لهذا الدين.

والله سبحانه وتعالى من رحمته بعباده أنه يرسل على رأس كل مائة عام أحد الأفذاذ القدوة يجددون للناس أمر دينهم..

فلا حركة بدون قدوة.. ولا تربية بدون قدوة.. ولا بناء بدون قدوة.

وكلما كانت جوانب العظمة في الإنسان القدوة متعددة، كلما كان تأثيره أكبر وأشمل وأعمق.. فأنت قد يبهرك إنسان زاهد عابد تعجب لزهده وانقطاعه للعبادة.. وقد يشدك إنسان سياسي بارع في عبارته ذكي في تحليله للأمور وربطه للأحداث، وقد تعجب ببطل شديد المراس مُحنك في إدارته للمعارك.. وقد تعجب بإنسان عادل في حكمه حليم في طبعه أنيس في مواقفه.

---

(1) منهج القرآن في التربية - محمد شديد، ص: 11.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 21.
(3) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي (ج 1، ص: 78).

قد يشدك الكرم في شخص، والأبوة الحانية في آخر، والإنسانية التي تنشغل بكل الناس في ثالث.. وكلما تعددت جوانب العظمة في إنسان كان قدوة للمزيد من الناس الذين يعجبون بهذه الخلال..

قدوة القدوات

كان سيدنا محمد ﷺ.. قدوة لجميع القدوات، متعدد جوانب العظمة.. يجد فيه كل إنسان منصف جانباً عظيماً يشده إليه..

كان متواضعاً غاية التواضع.. «**وهل أنا إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة**».

إذا جاع الصحابة ووضعوا حجراً على بطونهم كان أكثرهم جوعاً، فيكشف عن حجرين على بطنه..

شجاعاً كما وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (**كان أشجعنا أقربنا إلى رسول الله ﷺ**).

بشيراً كما وصفه ربّه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٢٨﴾﴾[1].

رحيماً: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

كان مشركو مكة يضعون أماناتهم عنده.. فهو الأمين.

وأبو سفيان وهو على شركه يتهيبه فلا ينطق أمام هرقل ملك الروم عندما سأله عنه بكلمة تسيء إلى عظمته.

لقد شكلت شخصية النبي ﷺ العامل الرئيس في تعليم المسلمين وتثقيفهم وتغيير عقولهمم واتجاهاتهم وتعديل سلوكهم والأخذ بيدهم نحو بناء الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي المتميز.

وجُعل في هذا الدين حبُ الله مقترن باتباع القدوة معلم البشرية، قال تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴿٣١﴾﴾[3].

---

(1) سورة سبإ، الآية: 28.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(3) سورة آل عمران، الآية: 31.

كما قرن عليه الصلاة والسلام الإيمان بتفوق محبته على أي شيء آخر. قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين»**[1].

والقرآن الكريم إذ يركّز على ضرورة الاقتداء بالرسول باعتباره أسوة حسنة، فإن التربية الإسلامية تتخذ من القدوة طريقاً لتحقيق أهدافها، فالمعلم كي يكون قدوة لا بد وأن يتمثل المنهج الذي يعلّمه ويربي به، وأن لا يكون هناك أي تناقض بين قوله وعمله، فيتخذه المتعلمون قدوة لهم يتأسون به في كل حركاته وسكناته، فضلاً عن أخلاقه ومنهجه، وإلا فإن التربية تنقلب إلى تلقين وضغط وتسميع دون أي أثر عملي لها[2].

وإذا كانت التربية السليمة لا تعتمد على مجرد المواعظ، فإنها تعتمد أساساً على المربي الفاضل القدوة. الأمر الذي يحمّل المربي مسؤولية كبيرة بأن يكون صورة حية لما يدعو إليه.. علماً وخلقاً وتديناً ودفاعاً عن الحق ووقوفاً في وجه الظلم وسعياً وراء الكمال[3].

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أوتى برجل وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العذاب لمكانه مني!

فإذا أردت أن تكون مربياً ناجحاً.. فلا بد أن تكون قدوة لنفسك.. فمن المُسلَّم به أن النصح لا يمس شغاف القلب ولا يؤثر في النفس إلا إذا كان صادراً عن قلب مخلص. فإذا أراد المربي أن يبعد الآخرين عن فعل مشين.. فعليه أول الأمر أن يقلع هو عن ذلك.. قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴿٤٤﴾﴾[4].

---

(1) البخاري ومسلم والنسائي. (القدوة وإحياء الضمير - نسيبة عبد العزيز المطوع، ص: 72).

(2) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن - علي خليل أبو العينين، ص: 230.

(3) المدرس في التربية الإسلامية- عبد الغني عبود.

(4) سورة البقرة، الآية: 44.

وقال تعالى على لسان شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴿٨٨﴾﴾[1].

من السهل أن تقرأ كتباً في التربية.. أو أن تكتب صفحات حولها.. ولكنك لن تكون مربياً صالحاً حتى تكون قدوة حسنة.. تتخذ من رسول الله ﷺ القدوة الأعظم والأكمل والأشمل قدوة لك. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[2].

أما لك بي أسوة؟

دخل رسول الله ﷺ ذات يوم على زوجته عائشة رضي الله عنها فوجد عندها نسوة، وكانت فيهن واحدة كئيبة المحيا، رثة الهيئة. فسأل رسول الله ﷺ عنها، فقيل له: إنها زوجة عثمان بن مظعون. وعثمان هو أحد المؤمنين الأولين السابقين.. انصرف كلياً للعبادة.. وبالغ في الأمر حتى نسي نفسه وأهله وانشغل عنهم.

ذهب الرسول ﷺ إليه وقال له:

«أمالك بي أسوة..؟».

قال عثمان: بأبي أنت وأمي.. وماذا؟

قال الرسول: **«أتصوم النهار.. وتقوم الليل؟»**.

قال عثمان: إني لأفعل.

قال رسول الله ﷺ: **«لا تفعل، إن لجسدك عليك حقاً.. وإن لأهلك عليك حقاً»**.. فامتثل عثمان على الفور للقدوة العظيمة.. وأقام العدالة النفسية الاجتماعية في جوانب حياته.. بعد أن مالت به نحو الغلو في جانب على حساب الجوانب الأخرى.. وتحضر زوجة عثمان إلى بيت رسول الله ﷺ، نضرة سعيدة كأنها عروس.. وتسألها عائشة، فتقول: أصابنا ما أصاب الناس.

---

(1) سورة هود، الآية: 88.

(2) سورة التوبة، الآية: 128.

هذا هو الدور التربوي الذي تقوم به القدوة الحسنة.. فيكفي أن يقول لعثمان.. **أما لك فيّ أسوة؟**

حتى يسارع من فوره لتغيير سلوكه الخاطئ والاقتداء بسيرة صاحب الأسوة.

الكل أمام القانون سواء

والقائد القدوة.. أسوة لأصحابه في سيرته وخلقه، ومعلم لهم في ضعفهم وخطئهم.. إذا رأى اعوجاجاً قوّمه بأيسر وألين الأساليب.. وإذا رأى انحرافاً لم يسكت عنه حتى يستقيم.

روي أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، فقالوا: من يجترئ عليه غير أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ. فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «**إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد: وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**».

هذه هي الأسوة الحسنة التي لا تجامل في الحق فالكل عندها أمام القانون سواء.

نقض تقليد جاهلي متأصل

كانت قضية التبني من العادات التي استقرت وتأصلت عند العرب. فقد كان للمتبنى جميع الحرمات والحقوق التي كانت للابن الحقيقي سواء بسواء، وكانت تلك القاعدة قد تأصلت في القلوب، بحيث لم يكن محوها سهلاً، ولكنها في نفس الوقت قاعدة تعارض معارضة شديدة للأسس والمبادئ التي قررها الإسلام في النكاح والطلاق والميراث وغير ذلك من المعاملات، وكانت تلك القاعدة تجلب كثيراً من المفاسد والفواحش التي جاء الإسلام ليمحوها من المجتمع. ولهدم تلك القاعدة أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن ينكح زينب بنت جحش زوجة مولاه زيد. كان الأمر شديداً على رسول الله مخافة ما يتركه مثل هذا الزواج من تأثير وأقوال.. ولكن الله يريد إبطال هذه العادة الضارة، ولا يمكن إبطالها إلا بأن يتولى ذلك رسول الله بنفسه، وهو القدوة الحسنة، التي يتسابق المسلمون إلى التأسي به.

كاد الناس أن يهلكوا

يوم الحديبية بعد انتهاء الرسول ﷺ من كتابة المعاهدة مع سهيل بن عمرو، عزَّ على المسلمين الأمر ورأوا في رجوعهم مكة بدون أن يدخلوها ويعتمروا أمراً خطيراً يصدمهم، خاصة وأن في بعض نصوص المعاهدة التي رضيها رسول الله ﷺ ما أتعبهم وأذهلهم، وحين أمرهم رسول الله ﷺ أن يذبحوا الهدي ويحلقوا تثاقلوا، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة مغضباً يقول: «**كاد الناس أن يهلكوا**»، فقالت: وما يهلكهم يا رسول الله؟ فقال: «**أمرتهم أن يحلقوا وأن يذبحوا فلم يفعلوا**». فقالت رضي الله عنها: اخرج إليهم ولا تكلم أحداً منهم واعمد إلى الحلاق فخذ من شعرك واذبح بيدك هديك فإنهم إذا رأوك فعلت أسرعوا وفعلوا.. ففعل رسول الله ذلك، فلما رأوه أسرعوا يحلقون ويذبحون.. إنها القدوة العملية التي امتَّصت الغضب وأعادت الناس إلى صوابهم[1].

(2)
التربية بالتوجيه (الموعظة)

وكما تتعلق النفس البشرية بالقدوة الحسنة، كذلك تتأثَّر بالموعظة المؤثرة.. خاصة عندما تكون على لسان واعظ حكيم.. يعرف متى يخاطب النفس البشرية وكيف.

الاعتدال والبعد عن الإملال

عن منصور، عن شقيق أبي وائل قال: (كان عبد الله بن مسعود يذكّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمٰن إنا نحب حديثك ونشتهيه، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم، فقال: ما يمنعني أن أحدثكم إلا كراهية أن أملكم، وإني أتخوّلكم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)[2].

---

(1) السبق التربوي في فكر الإمام الشافعي- بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب.
(2) البخاري (كتاب العلم- 68)، ومسلم (كتاب صفة القيامة- 5047).

فإذا كان المتحدث لبقاً.. أحسن اختيار الزمان والمكان والموضوع. والسامعون قد أحكموا أجهزة استقبالهم.. فإن الموعظة الصادقة تمرّ دون استئذان إلى القلوب فتهزها وتحركها..

ولكي تأتي الموعظة مؤثرة لا بد أن تتوفر لها:

- الأجواء التي تساعدها على شق طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان، تهزه وتثير كوامنه لحظة من الوقت.
- وتحتاج الموعظة ضمن هذا السياق إلى القدوة والوسط الذي يسمح بتقليد القدوة ويشجع على التأسي بها.. وحين توجد القدوة الصالحة فإن الموعظة تصبح دافعاً من أعظم الدوافع في تربية النفوس.. مما يسهم في تغيير سلوك الفرد وإكسابه الصفات المرغوب فيها[1].

والإنسان مفطور على تقبل النصيحة خاصة من محبيه وناصحيه.. فإذا جاءت من والد محب أو والدة رحيمة أو أخ كبير، أو صديق صدوق، أو معلم أو شيخ محترم فقد تغير مجرى حياته[2].

كثيراً ما يعجز المرسل في إحداث التغيير الإدراكي عند المستقبل عن طريق المنطق والحجج العقلية، على حين تأتي وسيلة الوعظ بتأثيراتها العاطفية على الوجدان لتغيير كثير من القناعات العقلية التي يعجز الإقناع المنطقي عن إحداثها[3].

والتربية الإسلامية تعتمد على الوعظ كطريقة تعليمية مستوحاة مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[4]، وإن المتقين هم من يفوزون بهذه الموعظة، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾[5].

---

(1) منهج التربية الإسلامية- محمد قطب ج1: 178.
(2) نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي- محمد فاضل الجمالي، ص: 11.
(3) الموعظة لغة القلوب- نسيبة المطوع - ص: 85.
(4) سورة يونس، الآية: 57.
(5) سورة آل عمران، الآية: 138.

ومن نماذج الوعظ القرآني ما قاله لقمان لابنه، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[1].

وما جاء في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴿٥٨﴾﴾[2].

من نماذج الوعظ النبوي

◄ ما رواه العرباض رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع؟ فما تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عَبْداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور! فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[3].

والملاحظ أن معظم المواعظ القرآنية والنبوية تدور حول تربية الإنسان عقدياً وسلوكياً، وتخاطب الوجدان وتستثير القلب حتى يرق ويلين.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴿١٦﴾﴾[4]، فإذا لان قلب المسلم استسلم لخالقه فصلحت عقيدته واستقام سلوكه وحسن خلقه.

ولقد أدرك علماء التربية المسلمون أهمية الموعظة كأسلوب تربوي مؤثر.. فاهتموا بالواعظ بنفس القدر الذي اهتموا فيه بمن توجه إليهم الموعظة.

يقول الإمام الغزالي:

(وليس كل من ادعى العلم أو اعتلى المنبر أصبح واعظاً.. فالوعظ زكاة

(1) سورة لقمان، الآية: 13.
(2) سورة النساء، الآية: 58.
(3) أبو داوود (السنة – 3991)، والترمذي (العلم – 2600)، وابن ماجه (المقدمة – 42).
(4) سورة الحديد، الآية: 16.

نصابها الاتعاظ ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة؟ وفاقد النور كيف يستنير به، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج)؟[1].

وعليه فإن الموعظة المؤثرة لا بد أن تحتوي على أمور أساسية منها:

- الكلمة الطيبة.. وحسن صياغتها بحيث تصل إلى قلوب السامعين.
- العاطفة والحماس.. فهي الوقود الذي يوصل الكلمة إلى هدفها.
- العلم والأخلاق.. فالعلم جوهر التوجيه، والأخلاق شرط التأثير.
- امتلاك القلوب.. وهي وسيلة الواعظ الحكيم الذي يملك ناصية القلوب فيوجهها بعلم ودراية.

(3)
التربية بالتدرج

من المعلوم أن هدف التربية الإسلامية يتمثل ببلوغ الكمال الإنساني، غير أن هذا الهدف لا يمكن بلوغه إلا بالتدرج. ولقد كان واضحاً كيف أن آيات القرآن الكريم وأحكامه نزلت بالتدريج طيلة فترة التبليغ التي زادت على ثلاث وعشرين سنة.

ولم ينتقل الإسلام بالمسلمين الأوائل من أخلاقهم القديمة إلى الأخلاق الإسلامية الجديدة جملة واحدة، إنما تدرج معهم وهيأهم برفق للتكليف في شتى العبادات.

فالصلاة مثلاً لم تفرض عليهم خمس مرات في بادئ الأمر، ولم يفرض عليهم الصيام والزكاة إلا بعد الهجرة بسنة، كما أن تحريم الخمر تم على مراحل[2].

كان ﷺ يراعي التدرج في التعليم، يقدم الأهم فالأهم، ويعلّم شيئاً فشيئاً نجماً فنجماً، ليكون أقرب تناولاً، وأثبت على الفؤاد حفظاً وفهماً.

---

(1) التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي - أيوب دخل الله، ص: 243.
(2) التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي - أيوب دخل الله، ص: 311.

◄ عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ، ونحن فتيان حزاورة (قرب البلوغ)، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً)[1].

◄ وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[2].

◄ وعن محمد بن فُضيل، عن عطاء عن أبي عبد الرحمٰن - هو السُّلَمي المقرئ - قال: (حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل)[3].

علماء التربية المسلمون من أمثال الماوردي يرون: أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخلَ تفضي إلى حقائقها، فليبتدئ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها ليفضي إلى حقائقها، ولا يطلب الآخر قبل الأول ولا الحقيقة قبل المدخل، فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة، لأن البناء على غير أس لا يُبنى والثمر من غير غرس لا يُجنى[4].

أما الإمام الغزالي فيرى العلوم مرتَّبة ترتيباً ضرورياً، وبعضها طريق إلى البعض، ويوصي المعلم بأن يراعي هذا المبدأ في العملية التربوية فيعطي المتعلمين على قدر أفهامهم فلا يرقيهم إلى الدقيق من الجلي وإلى الخفي من الظاهر هجوماً وفي أول رتبة، ولكن على قدر الاستعداد اقتداء بالنبي ﷺ معلم

(1) ابن ماجه (المقدمة - 60).
(2) البخاري (الزكاة - 1401)، مسلم (الإيمان - 27).
(3) الإمام أحمد (باقي مسند الأنصار - 22384).
(4) أدب الدنيا والدين - الماوردي، ص: 53.

البشر كافة حيث يقول: «**نحن معشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم وأن نكلم الناس على قدر عقولهم**»[1].

والمربي الناجح هو الذي يستخدم مبدأ التدرج في تقديم متطلبات التربية ومعطيات التعليم، بما يتلاءم تدرّجاً مع المستوى العقلي للطلاب والطالبات والأبناء والبنات. وما يتناسب مع أعمارهم الزمنية والروحية والاجتماعية، ودرجات نضوجهم وتفتحهم الانفعالي والعاطفي تقبلاً وتعديلاً وتوجيهاً.

(4)
التربية بضرب الأمثال

فقد كان ﷺ يقايس لأصحابه الأحكام ويعلّلها لهم، ويضرب لهم الأمثال لتوضيح ما غمض عليهم.

وضرب الأمثال من الطرائق التعليمية الهامة في التربية الإسلامية.. قال الرسول ﷺ: «**إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال**»[2].

ويراد بالتمثيل تقديم الأفكار أو المعاني بصورة مَثَل يُضرب لتجسيد تلك الأفكار. فهو وسيلة تربوية تعليمية لتقريب ما كان بعيداً، وإيضاح ما كان غامضاً. فالتمثيل يساعدنا على تقديم الأفكار المجردة بصورة محسوسة ملموسة يعرفها كل الناس أو أكثرهم على أقل تقدير[3].

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[4].

(1) ميزان العمل - الغزالي، ص: 99.
(2) رواه البيهقي.
(3) الرسول العربي المربي (المرجع السابق)، ص: 212.
(4) سورة العنكبوت، الآية: 43.

وقال أيضاً: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

في كل الأحوال تبقى الأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع. وقد حفل القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ بالأمثال تضرب للتذكرة والعبرة، واستعان بها الداعون في كل عصر لنصرة الحق وإقامة الحجة، ويستعين بها المربون ويتخذونها من وسائل الإيضاح والتشويق، ووسائل التربية في الترغيب أو التنفير أو المدح أو الذم[2].

الكلمة الطيبة

قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[3].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾[4].

ضرب الله مثلاً: الكلمة بالشجرة.. والناس كلهم يعرفون قيمة الشجرة المثمرة التي يستفيد الناس منها ظلاً وثمراً وزهراً وخشباً.. قَرَّب المعنى وأوضح المسألة وحوّل الفكرة المجردة عن طريق التمثيل إلى واقع قائم يتحسسه الناس ويعرفونه.

الإنفاق في سبيل الله

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[5].

---

(1) سورة الحشر، الآية: 21.
(2) مباحث في علوم القرآن - مناع القطان، ص: 247.
(3) سورة إبراهيم، الآيتان: (24-25).
(4) سورة إبراهيم، الآية: 26.
(5) سورة البقرة، الآية: 261.

استخدم القرآن الكريم التمثيل لتوضيح فكرة المكافأة، فحوّلها من فكرة مجردة إلى أرقام محسوبة يدركها الإنسان ويعرف مقدارها.

مثل المؤمن

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة (الكبّاد)، ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**»[1].

استخدم الحديث النبوي التمثيل، فوضَّح بشكل رائع شخصية كل واحد من هؤلاء الأربعة الذين ذكرهم الحديث.. وإذا كان البعض لا يفرق كثيراً بين المعاني والمصطلحات، فإن كل إنسان يعرف الأترجة طعماً ورائحة، ويعرف التمرة طعماً ورائحة كذلك، ويعرف الريحان ويعرف العلقم.

الجليس الصالح وجليس السوء

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يهديك) وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة**»[2].

صوّر الحديث الجليس الصالح تصويراً رائعاً محبباً يأنس إليه الآخرون.. وصوّر جليس السوء بشكل منفّر يبتعد عنه الناس اتقاء لشره..

هديه ﷺ كالغيث

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن مثل ما بعثني الله به من**

(1) البخاري (فضائل القرآن - 4632)، ومسلم (صلاة المسافرين - 1328).
(2) نفس المصدر.

الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

القائم على حدود الله

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها والمدهن (المحابي) فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذّوا به، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجّوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»[2].

مثل المنافق

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين (مترددة)، تعير في هذه مرة، وفي هذه مرة، لا تدري أيها تتبع»[3].

---

(1) البخاري (كتاب الذبائح والصيد - 5108)، ومسلم (البر والصلة - 4762).

(2) البخاري (كتاب الشركة - 2313)، والترمذي (كتاب الفتن - 2099)، وأحمد (مسند الكوفيين - 17638).

(3) مسلم (صفات المنافقين - 4990)، والنسائي (الإيمان - 4951).

(5)
التربية بالقصة

والقصة نوع من الأدب له جماله وسحره ومتعته. يشغف به الصغار والكبار. وقد تفنن القصاص عبر العصور في امتلاك ناصية الجمهور من خلال قصص مفتعلة.. قد يكون لها أساس وقد لا يكون.. شغلوا بها الناس وضيعوا لهم أوقاتهم، وصار الناس منقسمين مع أبطال القصة.. يؤيد هذا الفريق بطلاً.. ويؤيد الفريق الآخر بطلاً.. ولقد أخرج سيدنا علي رضي الله عنه القصاص (من هذا الصنف) من مسجد جامع البصرة[1].

والقصة في القرآن الكريم ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في بقية القصص الفنية.. إنما هي وسيلة من وسائل التربية الإسلامية[2] التي تسهم في بناء الشخصية الإسلامية من خلال توصيل المعلومات والحقائق بطريقة شيقة لذيذة، وتربية الأطفال تربية خلقية صحيحة فهي تضع المثل أمامهم وتستثير ميلهم إلى التقليد وتحرك قابليتهم للاستهواء[3].

والإسلام يدرك هذا الميل الفطري للقصة ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب فاستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم.

وهو يستخدم كل أنواع القصة: **القصة التاريخية** الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها. **والقصة الواقعية** التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج.

والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة من اللحظات وفي أي عصر من العصور.

من النوع الأول كل من قصص الأنبياء، وقصص المكذبين بالرسالات وما

---

(1) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي ج1، ص: 46.
(2) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب، ص: 117.
(3) التربية وطرق التدريس - صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد ج1، ص: 247.

أصابهم من جراء هذا التكذيب. وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر: موسى وفرعون، عيسى وبني إسرائيل، صالح وثمود، هود وعاد، شعيب ومدين، لوط وقريته، نوح وقومه، إبراهيم وإسماعيل... إلخ.

ومن النوع الثاني قصة ابني آدم:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾[1].

ومن النوع الأخير قصة صاحب الجنتين:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾[2].

والقرآن الكريم يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي: تربية الروح، وتربية العقل، وتربية الجسم، والتوقيع على

(1) سورة المائدة، الآيتان: (27، 28).
(2) سورة الكهف، الآيات: (31-43).

الخطوط المتقابلة في النفس، والتربية بالقدوة، والتربية بالموعظة، فهي سجل حافل لجميع التوجيهات[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ ﴿٦٢﴾﴾[2].

وقال أيضاً: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴿٣﴾﴾[3].

لقد كان في قصصهم عبرة

والقرآن الكريم لا يسوق من القصة إلا ما يتعلق بالغرض الذي سيقت من أجله، كي تظل العلاقة وثيقة بين القصة والمناسبة الداعية لذكرها. من أجل ذلك لا نكاد نجد القرآن يسرد القصة سرداً تاريخياً تبعاً لسلسلة الوقائع والأحداث، إذ من شأن ذلك أن تبتعد القصة بالقارئ عن المناسبة والغرض الأصلي.

في قصة أصحاب الكهف.. قال القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾[4].. مَنْ هؤلاء القوم، وفي أي بلدة كانوا يعيشون، وكم كان عددهم، وما هي أسماؤهم؟

لقد كان مقتضى السرد التاريخي أن تجيب القصة عن هذه الأسئلة كلها، ولكنها لو سَرَتْ على هذا المنوال، لغفل القارئ عن العبرة والعظة اللتين سيقت القصة من أجلهما. وحتى لا يندمج القارئ مع أحداث القصة وينصرف إليها بكل تفكيره، نجد القرآن الكريم يقطع أحداثها بالعظات والعبر التي يريد أن يلفت النظر إليها.

قال تعالى في سورة يوسف: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

(1) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب ج1، ص: 193.
(2) سورة آل عمران، الآية: 62.
(3) سورة يوسف، الآية: 3.
(4) سورة الكهف، الآية: 13.

ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾[1].

لقد أدخل العبارات الإرشادية والعبرة ضمن أحداث القصة.. ليلفت النظر لها.. فقد سيقت القصة من أجلها[2].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١١١﴾﴾[3].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[4].

فأهداف دراسة التاريخ من وجهة النظر التربوية هي:

- البحث عن العبرة في الحدث التاريخي.
- والبحث عن تحقيق سنة من سنن الله في الأمم والأجيال، فأحداث التاريخ لا تمضي عبثاً بل وفق سنن لا تتخلف، المقدمات فيها تفضي إلى النتائج المقررة.
- والبحث عن أثر إصلاح النفس البشرية وتربيتها في مجرى الحوادث التاريخية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿٥٣﴾﴾[5].
- والبحث عن حكمة الله وتدبيره في ضرب الظالمين ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿٤٠﴾﴾[6].
- ومعرفة أن الغاية من القوة والغلبة والتمكّن في الأرض هي إقامة شرع الله ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[7].

---

(1) سورة يوسف، الآيات (39-41).
(2) أصول التربية الإسلامية وأساليبها - عبد الرحمٰن النحلاوي.
(3) سورة يوسف، الآية: 111.
(4) سورة النازعات، الآية: 26.
(5) سورة الأنفال، الآية: 53.
(6) سورة الحج، الآية: 40.
(7) سورة الحج، الآية: 41.

◄ والبحث عن الموازين الربانية في الأحداث التاريخية، مما يمكن الدارس للتاريخ الذي تعرف على السنن الربانية من معرفة صواب الأحداث من خطئها.. ومن تمديد ذلك إلى أحداث المستقبل[1].

قصص نبوية

◄ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟»** قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: **«هل لك عليه من نعمة تربُّها؟»** قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: **«فإني رسول الله إليك، بأنّ الله قد أحبك كما أحببته فيه»**[2].

◄ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني! فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له»**. قالوا: يا رسول الله، وإنّ لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: **«في كل كبد رطبة أجر»**[3].

◄ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«عُذِّبتْ امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها، ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»**[4].

وعلى المربي

أن يشجِّع الشباب على قراءة السير، وأن يختار القصص التي تنمي المواهب المختلفة على أن تكون بعيدة عن الإسفاف والسفه وإثارة الغرائز. وأن تكون

---

(1) أصول التربية الإسلامية وأساليبها - عبد الرحمٰن النحلاوي (بتصرف).
(2) مسلم (كتاب البر والصلة - 4656)، وأحمد (مسند المكثرين - 8923).
(3) البخاري (كتاب المساقاة - 2190)، ومسلم (كتاب السلام - 4162).
(4) نفس المصدر.

واضحة المعنى بينة الحكمة خالية من الخرافات والأساطير، مقتصرة على الحقائق سواء كانت علمية أو تاريخية بأسلوب مهذب رقيق رفيع مفهوم وشيق ورشيق[1].

(6)
التربية بالحوار

وكان من أبرز أساليبه ﷺ في التعليم الحوار والمساءلة، لإثارة انتباه السامعين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحضِّهم على إعمال الفكر.

والحوار أسلوب جميل هين لين نستطيع من خلاله أن نفتح بوابة العقل الآخر لنمده بما نعتقده، دون أن نجرح مشاعره وكبرياءه[2].

ولقد استخدم القرآن الكريم الطريقة الحوارية في خطابه للناس.. المسلمين منهم وغير المسلمين.. وهي طريقة تقوم على الاستماع والفهم والإدراك أي أنها تقوم على توظيف العقل من أجل إدراك الحقائق..

الجدل المذموم

وعلى أهمية طريقة الحوار والمساءلة في مجال التربية العقلية.. إلا أنه لا بد من الحذر من آفات المناظرة وما ينجم عنها من آفات مظلمة في حال قُصد بها الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس، وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس.. فهي في هذه الحالة سبب لكل الأخلاق المذمومة عند الله، المحمودة عند عدو الله إبليس[3].

فمن غلب عليه حب الغلبة والإفحام والمناظرة، دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها في النفس كالحسد والحقد والكذب والتجسس والنفاق والاستكبار والرياء.

---

(1) المراهقون - سمير الراضي، ص: 104.
(2) الأساليب التربوية في القرآن والسنة - نسيبة المطوع، ص: 74.
(3) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي ج1، ص: 58.

قد يستفيد من يسمع مثل هذه المناظرات.. ولكن ذلك لا يدل على أن طالب الغلبة والإفحام ناج بل هو كما وصفه رسول الله ﷺ: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»[1].

ولنستعرض نماذج من الحوار القرآني والنبوي نسترشد بها في ممارستنا للتربية بالحوار.

أرأيت الذي يكذب بالدين؟

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾[2]. تساؤل يوجهه رب العالمين، لكل الناس، يخاطب فيه عقولهم.. وهم بعد هذا التساؤل مشغولون في معرفة هؤلاء الذين يكذبون بالدين.. ويأتي الجواب صريحاً واضحاً: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾[3].

قل هاتوا برهانكم

قال تعالى:

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[4].

---

(1) البخاري (الجهاد والسير - 2834، وكتاب القدر - 6116)، ومسلم (الإيمان - 162).
(2) سورة الماعون، الآية: 1.
(3) سورة الماعون، الآية: 2.
(4) سورة النمل، الآيات: (59-64).

أسلوب حواري يقوم على إثارة الأسئلة المنبهة للعقل والمحركة للفكر. ولا نجد أي جواب على سؤال منها، إنما نجد لفت النظر إلى حيث يتسنى للفكر أن يدرك الجواب الصحيح وينتبه له.

تتداعى عليكم الأمم

لقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب في مخاطبة عقول أصحابه.. قال ﷺ: **«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة على قصعتها»**. قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: **«بل أنتم حينئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل. ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم. وليقذفن في قلوبكم الوهن»**. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: **«حب الدنيا وكراهية الموت»**[1].

هم كثير.. ولكنهم ضعفاء! كيف؟

يستغربون الأمر ويحرِّكون عقولهم، فالكثرة مظنة القوة.. فما بالهم.. استأسد عليهم عدوهم ونزع من قلبه مهابتهم.. ويأتي الجواب.. السبب هو حب الدنيا وكراهية الموت.. تساؤل يحفّز الفكر والعقل والتفكير..

ما تقول في هذا الرجل؟

إنه رسول الله ﷺ جالس مع أصحابه، فإذا برجل يمر وعليه مظاهر العجرفة والتكبر والغرور بما لديه من متاع، فقال الرسول ﷺ لأصحابه الحاضرين: **«ما تقولون في هذا الرجل»؟**

قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يسمع. ويسكت رسول الله ﷺ فالدرس التربوي لم يكتمل بعد..

ويمر رجل من عامة المسلمين.. فيسأل رسول الله ﷺ:

«ما تقولون في هذا؟»

قالوا: حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع.

قال رسول الله ﷺ: **«هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»**.

---

(1) أبو داود (كتاب الملاحم - 3745)، وأحمد (باقي مسند الأنصار - 21363).

قيم اجتماعية خاطئة تقوم على العصبية والغنى والجاه والمظهر.. أراد رسول الله أن يصححها بهذا الدرس العملي.. بَيّن لأصحابه من خلال الحوار أن قيم المجتمع المسلم مغايرة لتلك القيم الجاهلية.. وأن قيم الإسلام تقوم على التواضع والرضا وحسن المعاملة.

إكرام الجار

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشتكي جاره.. فيصرفه رسول الله ﷺ ويطالبه بالصبر ويقول: «**اذهب واصبر**».. وجاء الرجل مرتين وثلاثاً ورسول الله ﷺ يطالبه بالصبر.. ثم أمره رسول الله ﷺ فقال: «**اذهب فضع متاعك على ظهر الطريق**». وجاء الناس يتساءلون ويعرفون السبب. وجاء الجار المؤذي وقال: يا رسول الله، لقد لقيت من الناس. قال رسول الله ﷺ: «**وما لقيت منهم؟**» قال: يلعنونني. قال ﷺ: «**قد لعنك الله قبل الناس**». قال: إني لا أعود.. فأرسل رسول الله ﷺ إلى الرجل وقال له: «**ارفع متاعك فقد كفيت**»[1].

أسلوب حواري عملي في التربية.. استخدم فيه رسول الله الضغط الاجتماعي على جار سيء.. لم يردعه صبر جاره عليه.. فردعه الضغط الاجتماعي[2].

أهمية السؤال

والمعرفة تبدأ بالسؤال.. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[3].

◄ هذا رجل أصابته جراح في إحدى المعارك.. ثم وجب عليه اغتسال. فطلب منه أصحابه الاغتسال بالماء، فاغتسل الرجل فمات.. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «**قتلوه قتلهم الله. ألا سألوا إذا لم يعلموا**».

---

(1) أبو داود (كتاب الأدب - 4486)، والحاكم.
(2) الرسول العربي المربي (المرجع السابق) ص: (178-185) باختصار.
(3) سورة النحل، الآية: 43.

لقد حضَّ النبي ﷺ أصحابه على السؤال عما يهمهم، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: **«إنما شفاء العي السؤال»**[1].

هذا جانب.. ومن جانب آخر يمثل السؤال (الذي يلقيه المعلم القدير) مصدر إثارة نفسية لتقوية الانتباه من قبل المستمع، وقد يشجعه حب المعرفة إلى إجراء محاورة مع السائل. ومن يمتلك القدرة على جذب اهتمام الآخرين، فإنه يستطيع أن يوصل إليهم المعلومة بسهولة ويسر[2].

آيات كثيرة في القرآن الكريم بدأت بـ(يسألونك).. تربط السؤال بقضية حدثت.. فيتعمق فهم المعنى في نفوس المؤمنين.

أولاً: الرسول ﷺ يسأل أصحابه

أحاديث كثيرة بدأت بسؤال يلقيه النبي على أصحابه.. وغالباً ما يكون السؤال معالجة لحدث أو لمرض ما في الصف المؤمن.

أتدرون ما الغيبة؟

قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً: **«أتدرون ما الغيبة؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«ذكرك أخاك بما يكره»**. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»**[3].

سؤال وحوار.. يؤدي إلى تثبيت المعنى في نفوس المسلمين.

هل يبقى من درنه شيء؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟»** قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: **«فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»**[4].

---

(1) أبو داود (كتاب الطهارة - 284).
(2) الأساليب التربوية في القرآن والسنة (المرجع السابق)، ص: 80.
(3) مسلم (البر والصلة - 4690).
(4) البخاري (مواقيت الصلاة - 479)، ومسلم (كتاب المساجد - 1071).

أتدرون من المسلم؟

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تدرون من المسلم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**». قال: **تدرون من المؤمن؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم. والمهاجر من هجر السوء فاجتنبه**»[1].

كان بالإمكان إعطاء المعلومات بدون سؤال أو حوار.. ولكنها بالحوار تثبت وتتعمق في نفوس المسلمين.

أتدرون من المفلس؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

قال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار**»[2].

أتدرون من السائل؟

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه.

وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**».

---

(1) أحمد (مسند المكثرين من الصحابة - 6631).

(2) مسلم (البر والصلة - 4678)، والترمذي (كتاب صفة القيامة - 2342).

قال: صدقت، قال - عمر -: فعجبنا له يسأل ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**». قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**».

قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «**أن تلد الأمةُ ربتَها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**».

قال: - عمر - ثم انطلق - الرجل - فلبث ملياً، ثم قال لي النبي ﷺ: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[1].

لقد لفتت أسئلة جبريل عليه السلام الانتباه لأساسيات الدين، وترتيب الأسئلة حدد الأولويات، واستخلص الإجابات المطلوبة من رسول الله ﷺ.

ثانياً: الرسول ﷺ يجيب أصحابه عما سألوا عنه

وكما يكون السؤال ابتداء من المعلم.. لإرشاد المتعلمين وتربيتهم في أمور تهمهم.. يكون كذلك من المتعلم، يستفسر عن أمر يجهله.

◄ عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: (أتيت النبي فقلت: يا رسول الله، إنا بأرض قوم أهل كتاب، أفنأكل في آنيتهم؟ وبأرض صيد، أصيد بقوسي، وبكلبي الذي ليس بمعلم، وبكلبي المعلم فما يصلح لي؟ قال: «**أما ما ذكرت من أنك بأرض أهل الكتاب، فلا تأكلوا في آنيتهم، إلا أن لا تجدوا بداً، فاغسلوها وكلوا فيها**».

وأما ما ذكرت من أنك بأرض صيد، فما صدت بقوسك فذكرت الله فكل.

---

(1) مسلم (كتاب الإيمان - 9)، والترمذي (الإيمان - 2535).

وما صدت بكلبك المعلم فذكرت الله فكل، وما صدت بكلبك الذي ليس بمعلم، فأدركت ذكاته فكل»[1].

◄ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «**نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟**» قالت: نعم، فقال: «**اقضوا الله الذي له، فإن الله أحق بالوفاء**»[2].

◄ وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ، قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور (الغنى) بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم؟!).

قال: «**أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بُضع أحدكم صدقة**».

قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[3].

قايس لهم ﷺ مقايسة عقلية بين الأمرين، حتى اتضح لهم الحكم، وفهموا ما لم يكن يدور في خلدهم.

أسلوب الذات في الحوار

وهو أسلوب عظيم في الحوار، ينقل فيه المحاور محاوره من دائرة عامة إلى دائرة أخرى تمس ذاته، فيزداد اهتمامه، فقد أصبحت القضية قضيته. ولنأخذ بعض النماذج.

---

(1) البخاري (كتاب الوضوء - 169، وكتاب الصيد والذبائح - 5056)، ومسلم (كتاب الصيد والذبائح - 3560).
(2) البخاري (الاعتصام بالكتاب والسنة - 6771)، وأبو داود (الإيمان والنذور - 2778).
(3) مسلم (كتاب الزكاة - 1674).

هل ترضاه لأمك؟

◄ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه : أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال ﷺ: «**ادْنُه**»، فدنا منه قريباً فجلس، فقال ﷺ له: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**».

قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**».

قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**».

قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**».

قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**».

قال: فوضع رسول الله يده عليه، وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**». قال: فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء[1].

لقد نقل رسول الله ﷺ عواطف الرجل من دائرة عامة إلى دائرة عاطفته الذاتية التي تهمه فاستثمر شعوره وعواطفه نحو أمه وأخته وعمته وخالته، ثم أتبع ﷺ الإقناع العقلي، بعلاقة وجدانية مليئة بالمحبة والمسؤولية تجاهه عندما وضع يده عليه ودعا له.

حولها ندندن

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «**ما تقول في الصلاة؟**» قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، أما والله ما أَحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال ﷺ: «**حولها ندندن**»[2].

---

(1) أحمد (باقي مسند الأنصار - 21185).

(2) أبو داود (الصلاة - 672)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة - 900).

استخدم الرسول ﷺ الأسلوب الذاتي الذي استخدمه الأعرابي في التعبير عما في نفسه.. فقال له ﷺ: «**حولها ندندن**»..

وهكذا كلما أوحينا للإنسان الذي نحاوره أن الكلام الموجه إليه هو من واقع تفكيره وكلماته الخاصة كنا مقبولين لدى عقله.

أسلوب الإثارة الوجدانية

العواطف الإنسانية مدخل هام إلى العقل، فقد لا يسمح لنا بالدخول إلى عقول الآخرين تطبيقاً لقواعد الإقناع والمنطق، ولكن قد يسمح باقتحام هذه البوابة العقليّة عن طريق العواطف. هذه المشاعر الوجدانية تؤثر بدرجات متفاوتة على عملية اتخاذ القرار.

◄ في الحديث أن رجلاً جاء فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا معهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك.. وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل**». فتنحّى الرجل وجعل يهتف ويبكي. فقال رسول الله ﷺ: «**أما تقرأ قول الله تعالى**: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1]. فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء بداً من مفارقتهم، أشهدكم أنهم كلهم أحرار.

استخدم رسول الله ﷺ عاطفة الرجل تجاه الجنة وخوفه من النار وترك له القرار في الاختيار.

إن جميع آيات الترغيب والترهيب تقوم على الوعد والوعيد عن طريق:

1 - إقناع العقل.

2 - التأثير على النفس والوجدان.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 47.

3 - الاعتماد على مزيج متكافئ من العناصر الوجدانية المؤثرة، وعدم تغليب عنصر منها على آخر[1].

الحوار الإقناعي

هل تعلم شيئاً أكبر من الله؟

في الحديث عن عدي بن حاتم.. وقد ذكر خبر فراره إلى الشام، وأسر أخته وإسلامها وترغيبها إياه بالإسلام وقدومه إلى المدينة وسماعه سورة براءة من رسول الله ﷺ وهو يقرأ: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴿٣١﴾﴾[2]. فقال عدي: لسنا نعبدهم.. قال رسول الله ﷺ: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟**» قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم. ثم قال ﷺ: «**يا عدي ما تقول: أيضرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ ما يضرك؟ أيضرك أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم إلهاً غير الله؟**» ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم.

هذا الحوار الإقناعي يقوم على سؤال المخاطب عما يعرفه بالحس أو البداهة.. ثم يبني السائل على الجواب ما يريد بناءه من استجواب آخر.. حتى يصل إلى الإقناع بكل ما يريد إقناعه به.

وقبل أن يحاور الرسول ﷺ عدياً ويقنعه بالإسلام.. هيأ الأجواء النفسية للحوار.. لقد عفا عن أخته وأطلقها من الأسر.. وحمّلها الهدايا.. وبعث معها رسالة تعاطف وتكريم لأخيها.. فكانت هذه التهيئة الوسيلة المناسبة لعدي.. ليعيد حساباته ويتّخذ قراره.

وما نقصان ديننا؟

◄ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله في أضحى أو فطر إلى المصلى، فقال: «**يا معشر النساء تصدقن، فإني أريتكن أكثر أهل النار**»، فقلن:

---

(1) الأساليب التربوية في القرآن والسنة - نسيبة المطوع، ص (194-218) باختصار.
(2) سورة التوبة، الآية: 31.

وبم يا رسول الله؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**».

قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟**» قلن: بلى فقال: **فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟**» قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان دينها**»[1].

النساء يستغربن أن يكنّ ناقصات عقل ودين وهن يساهمن على نفس مستوى الرجال في بناء المجتمع، فيحاورهن النبي ﷺ. . كاشفاً لهن أسباب ذلك. . مما يسهل عليهن الاقتناع بالأمر. .

أمنزل أنزلكه الله؟

يوم بدر. . يسأل الحباب بن المنذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال ﷺ: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**». قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً، فنملؤه ماء ثم نقاتل العدو فنشرب ولا يشربون.

فقال رسول الله ﷺ: «**نعم لقد أشرت بالرأي**».

لقد كان رأي الحباب مقنعاً، اقتنع به الرسول ﷺ، خصوصاً حينما علل سبب اختياره لذلك المكان.

اذهب فإنك لا تعرفه

جاء رجل إلى سيدنا عمر رضي الله عنه يثني على رجل. فقال له: هل أنت جاره الذي تعرف مدخله ومخرجه؟

قال: لا.

---

(1) البخاري (كتاب الحيض - 293)، ومسلم (كتاب الإيمان - 114).

فقال: كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟

قال: لا.

فقال عمر للرجل: أظنك رأيته قائماً في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى؟

قال: نعم.

فقال عمر: اذهب فلست تعرفه. وقال للرجل: اذهب فأتني بمن يعرفك. بأسلوب حواري بسيط نبه سيدنا عمر رضي الله عنه الرجل السائل إلى الطريقة التي يعرف بموجبها الرجال، وأنها تقوم على التعامل المباشر مع الناس.

عققته قبل أن يَعقك

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر الوالد وابنه وسأله عن عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه عليه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال عمر: بلى. قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب. قال الولد: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي. . وقد سماني جعلاً، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً. فالتفت عمر إلى الرجل فقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

بأسلوب حواري ممتاز وإثارة الأسئلة تحولت المسؤولية من الجاني إلى المجني عليه وتغير الحكم إلى النقيض.

ثالثاً: ابتداؤه ﷺ أصحابه بالإفادة دون سؤال منهم

كان ﷺ في كثير من الأحيان يبتدئ أصحابه بالإفادة من غير سؤال منهم، لاسيما في الأمور المهمة التي لا يتنبه لها كل واحد حتى يسأل عنها:

◄ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقال هذا: خلقَ الله الخلق، فمن خلقِ الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل:**

آمنت بالله. وفي رواية ثانية: «**فإذا قالوا ذلك، فقولوا:** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾»[1]. **ثم ليتفل عن يساره ثلاثا، وليستعذ من الشيطان**»[2].

رابعاً: جوابه ﷺ السائل بأكثر مما سأل عنه

وتارة كان ﷺ يجيب السائل بأكثر مما سأل، إذا رأى أن به حاجة إلى معرفة الزائد عن سؤاله:

◄ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: سأل رجل - من بني مدلج - النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**»[3].

◄ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رفعتْ امرأة صبياً لها - وهي حاجّة - فقالت: يا رسول الله ألهذا حجٌ؟ قال: «**نعم، ولك أجرٌ**»[4].

خامساً: لفتُه ﷺ السائلَ إلى غير ما سأل عنه

◄ عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «**ما أعددت لها؟**» قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «**أنت مع من أحببت**»[5].

◄ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (أن رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[6].

---

(1) سورة الإخلاص، الآيات: (1-4).
(2) أبو داود.
(3) الترمذي (الطهارة - 64)، والنسائي (الطهارة - 59)، وأبو داود (الطهارة - 76).
(4) مسلم (كتاب الحج - 2378)، والترمذي (الحج - 847)، والنسائي (مناسك الحج - 2598).
(5) البخاري (كتاب المناقب - 3412)، ومسلم (البر والصلة - 4775).
(6) البخاري (كتاب العلم - 120 وكتاب التوحيد - 6904)، ومسلم (كتاب الإمارة - 3524).

سادساً: استعادتُه ﷺ السؤالَ من السائل

وتارة كان ﷺ يستعيد السائل سؤاله ليزيده علماً أو ليستدرك على ما أجابه به، أو ليوضحه له.

◄ عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قام فيهم، فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله، والإيمان بالله: أفضل الأعمال.

فقام رجل فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قُتلتَ في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**كيف قلت؟**» قال: أرأيت إن قتلتُ في سبيل الله أتُكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَّينَ، فإن جبريل قال ذلك**»[1].

سابعاً: تفويضُه ﷺ الصحابي بالجواب

وكان ﷺ يُفوض أحياناً أحد أصحابه الجواب عن السؤال الذي رُفع إليه ليدربه على الإجابة في أمور العلم، ومن ذلك:

◄ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أبو هريرة يحدث أن رجلاً أتى إلى رسول الله ﷺ منصرفَهُ من أُحد، فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظُلة (السحابة) ينطف منها السمنُ والعسلُ، ورأيت الناس يتكففون بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، ورأيت سبباً (حبلاً) واصلاً من السماء إلى الأرض، رأيتُك يا رسول الله، أخذت به فعلوت به، ثم أخذ به رجل آخر من بعدك فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فَعَلا بعده، ثم أخذ به رجل آخر بعده فانقطع به، ثم وُصل له فعلا به.

قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله، بأبي وأمي أنت، والله لتدعَنّي فلأُعبّرنّها، فقال رسول الله ﷺ: «**اعبرها**». قال أبو بكر: أما الظُّلة فظُلة الإسلام، وأما الذي ينطف من السمن والعسل فهو القرآن حلاوتُه ولينه. وأما الذي يتكفف الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل منه. وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فهو الحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيُعليك الله، ثم يأخذ به رجل بعدك

(1) مسلم (كتاب الإمارة - 3497)، والترمذي (الجهاد - 1634)، والنسائي (الجهاد - 3104).

فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع، ثم يُوصل له فيعلو به.

فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت، أصبتُ أم أخطأت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً**»، فقال: فوالله يا رسول الله، لتُحدثنّي ما الذي أخطأت؟ فقال النبي ﷺ: «**لا تقسم يا أبا بكر**»[1].

◄ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص: «**اقضِ بينهما**»، قال: وأنت ها هنا يا رسول الله؟

قال: «نعم»، قال: على ما أقضي؟ قال: «**إن اجتهدتَ فأصبت فلك عشرة أجور، وإن اجتهدت وأخطأت فلك أجر واحد**»[2].

ثامناً: امتحانُه ﷺ أصحابه

وتارة كان النبي ﷺ يمتحن بعض أصحابه، فيسألهم عن شيء من العلم ليكتشف ذكائهم ومعرفتهم:

◄ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، قال لي: «**كيف تقضي إن عرض لك قضاء؟**» قلتُ: أقضي بكتاب الله، قال: «**فإن لم تجد في كتاب الله؟**» قلتُ: أقضي بسنة رسول الله، قال: «**فإن لم تجد في سنة رسول الله؟**» قلتُ: أجتهد برأيي ولا آلو - أي لا أقصّر -.

قال: فضرب رسول الله صدري بيده، وقال: «**الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسولَ الله**»[3].

تاسعاً: تعليمهُ ﷺ بالسكوت والإقرار

◄ عن أبي جحيفة وهْبِ بن عبد الله رضي الله عنه. قال: آخى النبي بين سلمان وأبي

---

(1) البخاري (كتاب التعبير - 6524)، ومسلم (الرؤيا - 4214)، وأبو داود (الإيمان والنذور - 2845)، والترمذي (الرؤيا - 2217)، وابن ماجه (تعبير الرؤيا - 3908).

(2) أحمد (مسند الشاميين - 17157)، والدارقطني.

(3) أبو داود (كتاب الأقضية - 3119)، وأحمد (مسند الأنصار - 21049).

الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذِّلة، فقال لها: ما شأنُكِ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا.

فجاء أبا الدرداء فصنع له طعاماً، فقال لسلمان: كُلْ فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال:

نَمْ، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نَم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قُم الآن، قال: فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه.

فأتى - أبو الدرداء - النبي ﷺ فذكر له، فقال النبي ﷺ: **«صدق سلمان»**[1].

عاشراً: استخدام الإثارة والتشويق

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: بينا نحن عند النبي ﷺ جلوس، إذ أُتي بجُمّار نخلة (قلب النخلة وشحمها)، فقال وهو يأكله: **«إن من الشجر شجرة خضراءُ، لما بركتها كبركة المسلم، لا يسقط ورقُها، ولا يتحاتُّ، وتؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، وإنها مثل المسلم، فحدّثوني ما هي؟»**.

قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البوادي، فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، ووقع في نفسي أنها النخلة، فجعلت أريد أن أقولها، فأهاب أن أتكلم وأنا غلام شاب، ثم التفتُّ فإذا أنا عاشرُ عشرة أنا أحدثهم، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فسكتّ.

فلما لم يتكلما، قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ فقال: رسول الله ﷺ: **«هي النخلة»**.

فلما قمنا قلت لعمر أبي: والله يا أبتاه، لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تقولها؟ قلت: لم أركم تتكلمون، لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما، وأنا غلام شاب، فاستحييت، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، فسكت. قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إليّ من أن يكون لي كذا وكذا[2].

---

(1) البخاري (كتاب الصوم - 1832).

(2) البخاري (كتاب العلم - 59)، ومسلم (صفة القيامة - 5027).

سأل النبي ﷺ أصحابه يثير فطنتهم، ويحرك ذكائهم، ويسقيهم العلم في قالب الحوار.

الحادي عشر: التكرار

كان رسول الله ﷺ يكرر حديثه تأكيداً لمضمونه.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه، كنت رديف رسول الله ﷺ، فقال لي: «**يا معاذ**». قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. ثم سار ساعة ثم قال لي: «**يا معاذ**». فعل ذلك ثلاث مرات. ثم قال لي: «**هل تدري ما حق الله على العباد؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**».

استخدم رسول الله الاستجواب والحوار والتكرار لتثبيت المعنى في نفس الطالب[1].

عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، أن رسول الله قال: «**والله لا يؤمن! والله لا يؤمن! والله لا يؤمن!**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[2].

ظروف الحوار والمتحاورين

1 - مراعاة الجو النفسي للمتحاورين.. والبعد عن أجواء الاستفزاز والتحدي.. فقد يضيع الحق في مثل هذه الأجواء.

2 - مراعاة الجو الحسي للحوار من حيث البرودة والحرارة والاتساع والضيق، لأن وجود ما يؤذي في جو الحوار يؤثر على طبيعة النقاش ونتيجته.

3 - مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي لطرفي الحوار. فلا يصح أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق أو الحاجة إلى النوم أو الجوع.. إلخ فإن ذلك سيؤثر على نتيجة الحوار.

4 - الاهتمام بالمحادثات الأولى والتعارف الذي يسبق الحوار. إذ من الصعب أن يبدأ الحوار بين أشخاص يجهل بعضهم بعضاً.

---

(1) أسس التربية الإسلامية - عبد الرحمٰن النحلاوي، ص: 40.

(2) البخاري (كتاب الأدب - 5557)، ومسلم (الإيمان - 66).

5 - أن يتم الحوار في مكان واحد.. لأن رؤية الوجوه له أثر في الوصول إلى نتيجة.

6 - مراعاة الآداب الإسلامية (القولي منها والعملي) في الحوار.. مثل (احترام الآخر، التلطف في القول، الابتسامة، تجنب الغضب، تجنب اللوم المباشر.. إلخ).

7 - لا يلجأ المحاور إلى أسلوب التحدي والإفحام.

8 - ضرورة المحافظة على هدف الحوار.. حتى لا يخرج المتحاوران عن الموضوع بمناقشات جزئية أو جانبية.

المميزات التربوية للحوار[1]

للحوار مزايا تربوية أهمها:

1 - احترام الذات الإنسانية واستقلالها. فلا تفرض عليها الأفكار فرضاً، وإنما تنمو مع الذات عن طريق اكتسابها شخصياً عن طريق المناقشة. وهذا أساس جوهري من أسس نجاح العملية التربوية.

2 - تدفع المدرس والطالب إلى التفكير العميق في جوانب الموضوع.

3 - تستغل الجانب الإيجابي التفكيري في الشخصية الإنسانية في مراقبة الجوانب الأخرى للشخصية في السلوك والإدراك والانفعال، وتقبل المعلومات الجاهزة، وفي ذلك حفظ لوحدة الشخصية وتكاملها بعيداً عن الازدواجية التربوية أو الانفصام النفسي.

4 - تشجع روح النقد الذاتي في الإنسان لمراجعة أفكاره، فالحوار مع الآخر أو مع النفس خير معلم يرافق الفرد في كل مراحل حياته.

5 - تثير مزيداً من الانتباه والنشاط والحيوية، لا سيما إذا كان الموضوع مما يختاره الطلاب أنفسهم، ومما يتصل بالنمو الخلقي أو العلمي السلوكي.

---

(1) الرسول العربي المربي - د. عبد الحميد الهاشمي.

6 - هي توجيه غير مباشر، فهي تزيد الثقة بالنفس، فلا يكون الإنسان سلبياً ينتظر أمراً ونهياً، أو إمّعة يقبل كل ما يُلقى إليه. والإنسان أشد ما يكون صراحة مع نفسه وفكره عندما يواجههما بالحقيقة، بينما يصعب عليه في كثير من الحالات قبول ذلك من غيره، لأنه يشعر وكأنه تهديد لكيانه الفكري والنفسي.

7 - تستخدم هذه الوسيلة بنجاح في كافة المستويات وفي جميع المراحل التربوية.

8 - تحتاج هذه الوسيلة مدرساً خبيراً قديراً.. وتتطلب مقدرة ومهارة إدارية في حفظ النظام وإدارة الحوار.

خطوات الطريق الحوارية[1].

الطريقة الحوارية

هي إلقاء مجموع من الأسئلة الهادفة والمتسلسلة منطقياً على الطلاب، تدور حول فكرة واحدة، توصل إلى عقول الطلاب معلومات جديدة توسّع آفاقهم العلمية، وتجعلهم يكتشفون نقصهم أو أخطاءهم بأنفسهم. وللحوار خطوات متعاقبة هي:

الخطوة الأولى: إلقاء أسئلة متعددة غايتها معرفة ما لدى الطالب من معلومات حول الموضوع. فهذه الخطوة استطلاعية استكشافية لمعلومات الطالب.

الخطوة الثانية: إلقاء أسئلة أخرى في مستوى آخر تترتب على أجوبة الخطوة الأولى. ولكنها تشعر الطلاب أنهم أخطأوا في الفهم أو قصروا في علم ما ينبغي. وهذه خطوة نقدية تقديرية، لأنها تُظهر مواطن الخطأ والضعف إلى جانب مواطن القوة والصحة في المعلومات والتفكير والعادات.

الخطوة الثالثة: استدراج غير مباشر للطلاب للوصول إلى المعلومات الصائبة أو الخبرات الجديدة، أو على الأقل ليعرفوا عجزهم عن معرفة الجديد الصحيح، وإثارة شوقهم للسماع والتقبل. وهي خطوة توجيهية إيضاحية.

---

(1) المرجع السابق.

وللمحاور مع نفسه قبل الحوار وقفتان:

الأولى: هل نيتي خالصة لله في هذا الحوار؟

الثانية: هل هناك فائدة ترجى من هذا الحوار؟

إرشادات في الحوار الجيد[1]

1 - اختيار الوقت المناسب.

2 - استمع أكثر مما تتكلم. (المستمع الجيد هو المحاور الناجح).

3 - تفرغ لمحدثك وتواضع له.

4 - لا تقاطع محاورك (أشعره بأهمية حديثه).

5 - ابدأ بنقاط الاتفاق، ولا تستدرج محاورك إلى كلمة (لا).

6 - اجتهد أن لا تبدأ أنت بالحوار، وذلك للتعرف على شخصية وأسلوب محاورك.

7 - استخدم المثال للتوضيح والطرفة للوصول إلى هدفك (بدون أن تطغى الوسيلة على الهدف).

8 - ادع محاورك بأحب الأسماء إليه..

9 - ابتعد عن (أنا) و (أنت) (حتى لا تتباعد النفوس).

10 - ليكن دليلك واضحاً وصحيحاً.

11 - كن أميناً في نقل الحقائق (وانسب كل قول إلى مصدره).

12 - لا تخجل أن تقول: لا أعلم. (فالصدق قوة للمحاور). روي أن الإمام مالك سئل عن (48) مسألة، فقال في (32) منها: لا أدري.

13 - كن جذاباً مع محاورك باستخدام إحدى الجمل التالية:

- ◄ استهل حديثك بقصة مثيرة، أو مثل معروف، أو سرد مقولة لأحد العظماء.
- ◄ ابدأ حوارك بالتساؤل باستفهامات متتالية، لاستدراج عقل محاورك إلى دائرة الحوار.

---

(1) الأساليب التربوية في القرآن والسنة - نسيبة عبد العزيز المطوع، ص: 94 وما بعدها.

◄ استخدم الصور العقلية باستخدام الأمثال والكلمات والعبارات التي تُسمع وتُرى في آن واحد مثل عبارة: عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة.

◄ كن موضوعياً في حوارك وأرفقه بالأرقام والتواريخ والأحداث.

14 - لا تغضب مع محاورك فتخسر الإقناع الحواري. بل احلم واصبر معه فتأسره بهدوئك وطمأنينة نفسك..

15 - اعترف بالخطأ عندما تقع فيه.

16 - لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامع.

17 - احترم محاورك.. وعامله كما تحب أن يعاملك، وركز على ما يلي:

◄ تواضع له، وأشعره بأهميته وتقديرك له (تضع يدك على مفتاح عقله).

◄ امتدح أقل إجادة له (لتثبت له حسن نيتك تجاهه).

◄ حاول أن ترى بعض الأشياء من وجهة نظره.

◄ تخير كلماتك وتلطف بها.. فبعض الكلمات تفتح مغاليق النفوس.

◄ أثّر على محاورك صادقاً ولا تكن كاذباً أبداً.

◄ كن خلوقاً معه (فحسن الخلق يطفئ كل شر).

◄ ابتسم لمحاورك تكسب ثقته.

◄ احفظ ماء وجه محاورك، ولا تشعره بالهزيمة.

18 - حدد هدفك في بداية الحوار.. ولا تستطرد فتبتعد عن الموضوع، وأعد محاورك (إذا استطرد) إلى أساس الموضوع بكلمات هادئة وأساليب غير مباشرة.

19 - حاور عن علم. ومن العلم حسن الفهم وقوة العقل وحسن العرض وانتقاء الكلمات.

20 - لا تتهم محاورك بالخطأ، فيرفضك وما جئت به من أفكار. فالغاية من الحوار الوصول إلى الحق على أي لسان جاء. ابتعد عن الكلمات القاتلة للحوار: (أنت غلطان - لن تفهم - لا فائدة من الحوار معك.. إلخ).

21 - أحسن العرض.. وابتعد عن إصدار الأوامر واستبدلها باقتراحات وأشعره أن الفكرة فكرته تملك زمام الموقف.

22 - أفصل بين فكر محاورك وذاتيته.

23 - استخدم ومحاورك مسلكاً واحداً - ولا تتقلبا - فقد يكون فقهياً أو واقعياً أو فلسفياً أو مثالياً أو عاطفياً، فإن تغيير المسلك الحواري أثناء الحوار لا يأتي بنتيجة.

24 - رتب أفكارك أثناء الحوار واجعلها مترابطة متسلسلة. وعليك أن تتحين الوقت المناسب لتقديم فكرتك الجديدة.. وأن تتأكد أن عقل محاورك مفتوح لاستقبال هذه الفكرة. وإذا لم تحسن اختيار الوقت فسيكون مصير فكرتك سلة المهملات.

25 - أملك قلب محاورك بإنصافه، والوقوف عند الدليل الذي يقدمه، واحترم الجديد من أفكاره.

26 - لا تضخم الجزئيات على حساب الأولويات.. ولا تهتم بالفروع على حساب الأصول..

27 - لا تسكّت محاورك بقوة حجتك، وكن هيناً ليناً معه واكسب عقله وقلبه.

28 - ضرورة التمسك بآداب الحوار في كل الظروف.. واسأل نفسك.. هل أنت مستمع جيد؟ ورتب إشاراتك.. وكلماتك. فالحوار مع الآخرين فرصة لتدريب النفس على فن الاستماع.. ومن ثم التقدم في تقنية فن الحوار.

29 - اجعل الوصول إلى الهدف هو ضالتك، حتى ولو كان على حسابك، ولا تكن متعصباً لرأيك فيغطي هواك عقلك.

30 - حاور الآخرين بالتي هي أحسن، وتلطف.. واجعل لحظات الحوار تمر بسعادة لكليكما (فالكلمة الطيبة تُعبد الطريق للفكرة أن تعبر لعقل الآخر).

31 - لا تنس قاعدة: يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال. فالرجال يخطئون ولكن الحق ثابت.

32 - ضرورة أن تدرك أن محاورك حسن النية، غايته الوصول للحقيقة وإلا تحول الحوار المفيد إلى مراء ضار.

33 - النفي والإثبات لا يقوم إلا بدليل ولا دليل إلا ما يثبت به العلم.. فلا تقل إلا بعلم ولا تقبل إلا بعلم.

34 - حاور نفسك قبل حوار الآخرين وافحص أدلتك.. قبل أن تطالب الآخر بإثبات أدلته واعلم أن أخطاءك هي التي تضرك وليس أخطاء الآخرين.

35 - لا تتشبث برأيك إذا كان الحق خارجه.

36 - احذر من الغرور عند انتصار رأيك.. وتمسك بقاعدة: رأينا صواب يحتمل الخطأ.. ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب.

37 - اطلب الدليل من محاورك عند مناقشة الشبهات إذا لم يستمع إلى حجتك ولا تنتقل من الدفاع إلى الهجوم إلا في الحالات الضرورية..

38 - ليكن غضبك متعلقاً بالخطأ، وليس بالمخطئ. وأشفق على المحاور إن أخطأ.

39 - إياك والسب والشتم في حالة الخلاف واستبدله بالحجة والدليل.

40 - اعترف بجزئية الحق عند محاورك، ولو أن كلية قضيته باطلة فهذا سيقويك.

41 - كن قدوة في حوارك، ولا تناقض أقوالك بسلوكك.

42 - حافظ على النية الصادقة في حوارك.. فلا يتحول الحوار إلى انتصار للنفس.

43 - تأكد من صحة مصادر أدلة محاورك..

44 - اجعل هدفك إيثار الحق وليس إيثار المحاور.

45 - راقب هوى نفسك، وفرق بين النفس والقناعة التي تتبناها والدليل عليها. فإن هوى النفس قد يجنح بالحوار بعيداً عن العقل والصواب.

46 - التزم في حوارك بالمنهج العلمي السليم في الاستدلال والنقد.

47 - لا يزعجك بحث وتحقيق الحق الذي تدافع وتحاور عنه من قبل المحاور الآخر، فالحق لا يضره البحث والتحقيق، والمتضرر الوحيد من ذلك هو الباطل ومن يدافع عنه.

48 - حاور الآخرين وخاطبهم على قدر إدراكهم[1]، وفي الحديث: **«خاطب الناس على قدر عقولهم»**.

---

(1) الأساليب التربوية في القرآن والسنة (المرجع السابق)، ص: (94-104) باختصار.

(7)
التربية بالممارسة والعمل

يقوم الإسلام على العلم والعمل. ولا قيمة لعمل يؤدى بلا علم.. ولا قيمة لعلم لا يطبق في واقع الإنسان والمجتمع. والتفاضل بين الناس في نظر الإسلام بما يقوم به كل فرد من صالح الأعمال.. والعبادات التي شرعها الله. لا يتم تمامها إلا إذا كانت وسائل تربوية تتحول بها الكلمة أو الحركة إلى عمل بناء وإلى خلق فاضل، وإلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان كما تصوره الإسلام[1].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴿٣٣﴾﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: **«كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له متاعه صدقة. والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»**[3].

بناء على ذلك فإن الإمام أبا حامد الغزالي يطالب المربي: أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد عند تلاميذه.. وأن يتأكد بأنهم يطبقون عملياً ما تعلموه. فالإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعملٌ بالأركان.

والتطبيق العملي يكسب الإنسان معاني لطيفة لا يدركها بالقراءة أو بالسماع.. فكم من معان لطيفة يفهمها المصلي أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله[4].

والتربية إذا ظلت أوامر ونواهي مجردة، أو وصايا تربوية كلامية، دون أن تتجسد في نماذج سلوكية وأنماط عملية من السلوك التطبيقي، فإنها تفقد معناها،

(1) في التربية الإسلامية - عبد الغني عبود، ص: 157.
(2) سورة فصلت، الآية: 33.
(3) البخاري.
(4) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي 1: 191.

وتبقى التربية معها نظرية فلسفية لا مصداقية لها في عالم الواقع. والتربية النبوية، وهي تقرر مناهجها وطرائقها، تتبنى مبدأ العمل الإيجابي التنفيذي في سلوك المؤمن.. في نفسه.. ومع الآخرين[1].

من غش فليس مني

ها هو رسول الله ﷺ يتجول في السوق، فيمر على صبرة طعام، فيدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**» فقال الرجل: أصابت السماء. قال رسول الله ﷺ: «**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟**».

ثم يقرر رسول الله ﷺ القاعدة التربوية فيقول: «**من غش فليس مني**»[2]. درس تربوي عملي يهذب به رسول الله ﷺ سلوك هذا التاجر الذي حاول أن يغش زبائنه.

لِيُصل أحدكم نشاطه

وهنا درس آخر في تهذيب السلوك.. فقد رأى رسول الله ﷺ حبلاً ممدوداً بين عمودين من أعمدة المسجد فيسأل: «**ما هذا الحبل؟**».

قال الصحابة: هو لزينب رضي الله عنها، فإذا فترت تعلقت به. قال النبي ﷺ: «**حِلوه.. ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**».

السلوك هنا ليس سلوكاً منحرفاً.. إنما هو تطرف في جانب على حساب الجوانب الأخرى.. فأعاده رسول الله ﷺ إلى الاعتدال الذي يحقق سلامة المبدأ، وسلامة السير الطويل.. وسلامة الوصول دون انقطاع.

خيرٌ من أن يسأل الناس

وهذا رجل من الأنصار، يأتي النبي ﷺ يطلب صدقة.. ويسأله النبي ﷺ: «**أما في بيتك شيء؟**» فيقول: بلى عندي حليس (كساء) نلبس بعضه ونبسط

(1) الرسول العربي المربي (المرجع السابق)، ص: 182.
(2) مسلم.

بعضه، وقعب نشرب به الماء. قال رسول الله ﷺ: **«آئتني بهما»**.. وينادي رسول الله ﷺ في ملأ من أصحابه: **«من يشتري هذين؟»**.

ويشتريهما أحد الصحابة بدرهمين.. فيقول الرسول المعلم للأنصاري: **«اشتر بأحد الدرهمين طعاماً لأهلك.. واشتر بالآخر قدوماً، فائتني به»**، وجاءه بالقدوم.. وكان رسول الله ﷺ قد أحضر خشبته ليضعها بيديه في القدوم.. ويقول: **«اذهب واحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً»**..

إنه درس عملي تطبيقي.. يأخذ فيه رسول الله ﷺ بيد هذا الصحابي.. فيعلمه مهنة يكتسب منها رزقه ورزق عياله، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه.

غرسوا فأكلنا، ونغرس فيأكلون

ويسأل رجل أبا الدرداء رضي الله عنه وهو يغرس غرسة فيقول له: أتغرس هذا وأنت شيخ كبير، وهذه لا تثمر إلا في كذا وكذا عاماً.. فقال أبو الدرداء (الذي تخرج من مدرسة النبوة): وما عَلَيَّ أن يكون لي أجرها، ويأكل منها غيري.

تشريع الأذان

وتواجه المسلمين، وقد كثر عددهم وتباعدت دورهم، مشكلة دعوة المؤمنين للمسجد إذا حان وقت الصلاة..

تذاكر رسول الله ﷺ مع أصحابه بالأمر.. فقال البعض: نرفع راية في مكان مرتفع ليراها الناس.. ولم ينل الإقتراح قبولاً.. فالراية لا توقظ النائم ولا تنبه الغافل. وقال بعضهم: نشعل ناراً في مكان مرتفع.. ولم يقبل الإقتراح.. فالنيران شعار المجوس.. وقال بعضهم: بل نستخدم البوق وقال آخرون: نستخدم الناقوس.. ورفضت الإقتراحات لنفس السبب.

في هذا الدرس التربوي يستنفر رسول الله ﷺ جميع القوى الذاتية عند أصحابه.. ليفكروا بالأمر.. والتدريب على التفكير والتشجيع على المناقشة هو الأسلوب النفسي التربوي لسلامة القرار.

وهذا عبد الله بن زيد بن ثعلبة الأنصاري وهو بين النائم واليقظان إذ قال له

شخص: ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء للصلاة. قل: الله أكبر الله أكبر إلى آخر كلمات الآذان.

ويأتي عبد الله إلى النبي ﷺ ليخبره.. فيقول له رسول الله ﷺ: «**لقن ذلك بلالاً، فإنه أندى صوتاً منك..**» ويسمع المؤمنون النداء.. فيهرولون للصلاة: وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجر رداءه وهو يقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال الرسول ﷺ: «**الحمد لله، لقد جاء الوحي بذلك**».

من قدر الله إلى قدر الله

وهنا قضية أخرى تواجه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو متوجه إلى الشام لزيارة الجيوش الإسلامية بقيادة أمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حتى إذا بلغ سرغ قرية بالقرب من تبوك.. لقيه أمراء الجيش والولاة وفيهم: أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وأخبروه: أن وباء وقع في المنطقة ولقد مات فيه عدد غير قليل من المؤمنين.

ماذا يفعل عمر؟

استشار المهاجرين الأولين.. فأشار عليه فريق منهم بالمضاء.. وفريق ثان بالعودة. واستشار إخوانه الأنصار.. فتفرقت آراؤهم كذلك..

ثم استشار مهاجرة الفتح من قريش.. أولئك الذين تمت تنشئتهم النفسية والفكرية والاجتماعية على يد المربي الرسول ﷺ.. فأشاروا عليه جميعاً بالرجوع.. قرار حكيم لم يصدر عن انفعال عاطفي، ولا عن تفكير سطحي.. بل عن دراسة واعية للأمور واتخاذ القرار المنطقي السديد.. ويسأل القائد أبو عبيدة ويقول: أفراراً من قدر الله يا عمر؟ قال عمر رضي الله عنه: نعم فراراً من قدر الله إلى قدر الله.

لم يكن عندهم خبر عن رسول الله ﷺ في هذا الأمر.. فناقشوه واستنفروا كل طاقاتهم ووصلوا إلى الحل العملي السديد..

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كان الوباء بأرض ولست بها فلا تدخلها.. وإذا كان بأرض وأنت بها فلا تخرج منها**»[1].

استخدام الوسائل التعليمية

ومن أسباب توضيح الفكرة، أن يستخدم المربي الوسائل التعليمية. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[2].

هذه النعمة التي تحتاج منا الشكر، هي نعمة الحواس التي وهبها الله للإنسان.. فعن طريقها يَكتشف العالم الحسي المحيط به.. فالعين تنظر، والأذن تسمع.. واليد تتلمس.. الحواس كلها الظاهرة والباطنة.. تعمل لتزويد الإنسان بروافد المعرفة الإنسانية..

هذا الإدراك الحسي الذي هو مزيج من إحساسات عضوية حيوية يتولد عنها (بعد مرورها في الجهاز العصبي) إدراك عقلي.

وكذلك فإن استخدام الوسائل التعليمية مثل: السبورة وجهاز العرض والفيديو والرسوم الإيضاحية.. تساهم في مساعدة الحواس على تثبيت الأفكار وتبسيطها وتقريبها للأفهام.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴿١٤٥﴾﴾[3].

واللوح هنا وسيلة إيضاح تساعد الحواس على تثبيت الأفكار وتوضيحها.

تعليمه ﷺ بالرسم على الأرض

كان رسول الله ﷺ يستعين في بعض الأحيان على توضيح بعض المعاني بالرسم على الأرض.

---

(1) الإمام أحمد (مسند العشرة المبشرين بالجنة – 1577).

(2) سورة النحل، الآية: 78.

(3) سورة الأعراف، الآيتان: 144، 145.

◄ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ أربعة خطوط، ثم قال: «**أتدرون ما هذا؟**» فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال الرسول ﷺ: «**أفضل نساء الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران**»[1].

◄ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً. ثم قال: «**هذا سبيل الله**». ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: «**هذه سبل متفرقة، على كل سبيل شيطان يدعو إليه**». ثم قرأ: «﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴿١٥٣﴾﴾»[2].

◄ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خط النبي ﷺ خطا مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط، من جانبه الذي في الوسط، فقال: «**هذا الإنسان وهذا أجله محيط به، وهذا الذي هو خارجٌ أمله، وهذه الخطوط الصغار: الأعراض** (الحوادث والنوائب المفاجئة)، **فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه كلها أصابه الهرم**»[3].

بين لهم رسول الله ﷺ بما رسمه أمامهم على الأرض، كيف يُحال بين الإنسان وآماله الواسعة، بالأجل المباغت، أو العلل والأمراض المُقْعدة، أو الهرم المفني، وحضهم على قصر الأمل والاستعداد لبغتة الأجل.

قضية معقدة.. تتناول الإنسان وهو يواجه التحديات من كل جانب.. والأجل الذي يحدد وجوده.. والأمل الذي لا ينتهي.. تحتاج لمثل هذا التمثيل لتوضيحها وتثبيت معانيها.

اتخاذه ﷺ الكتابة وسيلة في التعليم

ومن أساليبه ﷺ أيضاً التعليم عن طريق الكتابة، وقد كان لرسول الله ﷺ أكثر من خمسة عشر كاتباً، يكتبون عنه القرآن، وكُتّاب آخرون خصهم بكتابة رسائله

---

(1) الإمام أحمد (مسند بني هاشم - 2805).
(2) سورة الأنعام، الآية: 153. والحديث رواه الإمام أحمد.
(3) البخاري (كتاب: الرقائق - 5938).

إلى الآفاق والملوك لتبليغهم الإسلام ودعوتهم إليه، وكُتاب آخرون خصهم بكتابة أمور أخرى.

◄ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه؟ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب - أي الكتابة -.

فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأومأ بإصبعه إلى فيه، فقال: «**اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق**»[1].

◄ وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه: (هل عندكم كتاب؟ قال: إلا كتاب الله، أو فهم أُعطيَه رجلٌ مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يُقتل مسلم بكافر)[2].

◄ وقد أرسل رسول الله ﷺ كتباً باسمه إلى الآفاق والملوك، منها ما فيه الدعوة إلى الإسلام والإيمان بالله تعالى، ومنها ما فيه بيان للأحكام وشرائع الإسلام للداخلين فيه، وقد حفظتْ كتبُ السيرة والحديث والتاريخ نصوص تلك الكتب الكريمة وألفاظها.

اهتمامه ﷺ بتعلم اللغات

ولقد استخدم النبي ﷺ اللغات الأجنبية في مجال التعليم والدعوة والتبليغ، وهو أحد أساليبه في التعليم:

عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلّم له كلمات من كتاب يهود، وقال: «**إني والله ما آمن يهود على كتابي**»، قال: فما مرّ بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم)[3].

---

(1) أبو داود (العلم - 3161)، وأحمد (مسند المكثرين من الصحابة - 6221).

(2) البخاري (العلم - 108، وكتاب: الجهاد - 28200).

(3) الترمذي (كتاب: الاستئذان - 2639).

واللغات أمر هام، فهي مفتاح المعرفة، ووسيلة التواصل بين الأمم، ومن تعلم لغة قوم أَمِن مكرهم.

جمعهُ ﷺ بين القول والإشارة في التعليم

وتارة كان يجمع رسول الله ﷺ في تعليمه بين البيان بالعبارة، والإشارة باليدين تنبيهاً على أهمية ما يذكر للسامعين أو يعلمهم إياه:

◄ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» ثم شبك رسول الله بين أصابعه[1].

◄ وروى مسلم، من حديث جابر بن عبد الله، الطويل في حَجّة النبي ﷺ قوله: «**لو أني استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ، لم أسُق الهَدْي، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فَليحِلَّ وليجعلها عمرة**»، فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله، أَلِعامِنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى وقال: «**دخلتْ العمرةُ في الحج، دخلتْ العمرةُ في الحج، لا بل لأبد أبد**».

◄ وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**»، وأشار بإصبعيه: السبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئاً[2].

◄ وفي حديث الثلاثة الذين تكلموا في المهد، عن أبي هريرة، فذكر فيه رسول الله ﷺ: عيسى ابن مريم عليه السلام، وغلام جُرِيج الراهب، قال: (كانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمرّ بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها فأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كأني أنظر إلى النبي رضي الله عنه يمص إصبعه[3].

---

(1) البخاري (الصلاة - 459)، ومسلم (البر والصلة - 4684).
(2) البخاري (الطلاق - 4892).
(3) البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء - 3181).

◄ وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله: حدثني بأمر أعتصم به، قال: قل: «**ربي الله، ثم استقم**». قلتُ: يا رسول الله ﷺ، ما أخوَفُ ما تخاف عليّ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه ثم قال: «**هذا**»[1].

◄ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ في قريب ثمانين رجلاً من قريش.. فتشهد النبي ﷺ ثم قال: **أما بعد يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر، ما لم تعصوا الله تعالى، فإن عصيتموه بعث إليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب، لقضيب في يده، ثم لحا القضيب فإذا هو أبيض يصلده**»[2].

تعليمُه ﷺ برفع المنهي عنه بيده

وتارة كان ﷺ يحمل بيده الشيء الذي ينهى عنه ويرفعه إلى أنظار المخاطبين، فيجمع لهم بين النهي عن الشيء بالقول والمشاهدة، فيكون ذلك أوعى للنفوس، وأوضح في الدلالة على التحريم والمنع.

◄ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ حريراً بشماله، وذهباً بيمينه، ثم رفع بهما يديه فقال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتي، حِلٌّ لإناثهم**»[3].

تأكيده ﷺ التعليم بالقسم

وكان ﷺ في كثير من الأحيان، يبدأ حديثه بالقسم بالله تعالى، تنبيهاً منه إلى أهمية ما يقوله.

◄ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[4].

---

(1) الترمذي (الزهد - 2334).
(2) الإمام أحمد (مسند المكثرين من الصحابة - 4149).
(3) أبو داود (اللباس - 3535)، والنسائي (كتاب الزينة - 5053)، وابن ماجه (اللباس - 3585).
(4) مسلم (كتاب الإيمان - 81).

◄ وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والله لا يؤمن! والله لا يؤمن! والله لا يؤمن!**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[1].

إشعاره ﷺ بالأهمية بتغيير جلسته وحاله وتكرار المقال

وتارة كان ﷺ يغير جلسته وحاله، مع تكرار مقاله تعبيراً عن الاهتمام والخطورة لما يقوله أو يحذر منه.

◄ عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين** - وكان متكئاً فجلس فقال: **ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور**، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت. وفي رواية مسلم: (فما زال يكررها حتى قلنا: ليته يسكت)[2].

إمساكه ﷺ بيد المخاطب أو منكبيه لإثارة انتباهه

وتارة كان ﷺ يثير انتباه المخاطب بأخذ يده أو منكبه، ليزداد اهتمامه بما يعلمه، ويلقي إليه سمعه وبصره وقلبه، ليكون أوعى له وأذكر.

◄ عن عبد الله بن سخبرة أبي معمر رضي الله عنه قال: سمعت ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (علمني رسول الله ﷺ، وكفِّي بين كفيه، التشهد، كما يعلمني السورة من القرآن: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)[3].

إبهامه ﷺ الشيء لحمل السامع على الاستكشاف

وتارة كان ﷺ يبهم الشيء ترغيباً فيه لحمل السامع على الاستكشاف عنه فيكون أوقع في نفسه وأخص له على إتيانه.

---

(1) البخاري (الأدب - 5557).

(2) البخاري (الشهادات - 2460، وكتاب الأدب - 5519)، ومسلم (الإيمان - 126).

(3) البخاري (الاستئذان - 5794)، ومسلم (الصلاة - 609).

◄ عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ، فقال: «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**»، فطلع رجل من الأنصار[1]، تنطُف لحيته من وَضوئه، قد علّق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى.

فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو ﷺ - أي تبع ذلك الرجل - فقال: إني لاحيْتُ أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإذا رأيتَ أنْ تؤويني إليك حتى تمضي فعلتَ، قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاثَ الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعارَّ وتقلب على فراشه ذكر الله ﷻ، وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال: عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاثَ المرات.

فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيتَ، فلما وليتُ دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشّاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق[2].

إجماله ﷺ الأمر، ثم تفصيله ليكون أوضح

وكان ﷺ في بعض الأحيان يجمل الأمر في حديثه ليحض المخاطب على السؤال، وتشويقه إلى الاستكشاف عنه، ثم يفصله ببيان واضح فيكون أوقع في نفس المخاطب وأمكن في حفظه وفهمه.

---

(1) هو الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(2) الإمام أحمد (باقي مسند المكثرين - 12236).

◄ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مُرّ بجنازة فأثني عليها خيراً، فقال نبي الله ﷺ: «**وجبت، وجبت، وجبت**». ومر بجنازة فأثني عليها شراً، فقال نبي الله ﷺ: **وجبت، وجبت، وجبت**».

قال عمر رضي الله عنه: فدى لك أبي وأمي، مر بجنازة فأثني عليها خيراً فقلت: «**وجبت، وجبت، وجبت**». ومر بجنازة فأثني عليها شراً فقلت: «**وجبت، وجبت، وجبت**».

فقال رسول الله ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض**»[1].

◄ وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، أن رسول الله قال: «**والله لا يؤمن! والله لا يؤمن! والله لا يؤمن!**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[2].

◄ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**رغم أنفه! ثم رغم أنفه! ثم رغم أنفه!**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة**»[3].

إجماله ﷺ للمعدودات ثم تفصيلها

ومن أساليبه ﷺ إجماله للمعدودات ثم بيانها واحداً بعد واحد:

◄ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[4].

---

(1) البخاري (كتاب: الجنائز - 1278)، ومسلم (الجنائز - 1578)، والنسائي (الجنائز - 1906).

(2) البخاري (كتاب: الأدب - 5557).

(3) مسلم (البر والصلة - 4628).

(4) الحاكم.

◄ وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[1].

اكتفاؤه ﷺ بالتعريض والإشارة

وتارة كان ﷺ يكتفي بالتعريض والإشارة في تعليم ما يستحيا منه.

عن عائشة رضي الله عنها : أن أسماء بنت شكل، سألت النبي ﷺ عن غُسل المحيض؟ فقال:

«**تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها فتطهّر، فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها، فتدلكه دلكاً شديداً حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فِرْصة ممسكة فتطهّر بها**».

فقالت أسماء: وكيف تطهّر بها؟ قال: «**سبحان الله تطهّرين بها**».

فقالت عائشة - وكأنها تخفي ذلك - : تتبعي أثر الدم[2].

اهتمامه ﷺ بتعليم النساء ووعظهن

وكان ﷺ يهتم بتعليم النساء ما يحتجن إليه، فكان يخصهن ببعض مجالسه ومواعظه.

◄ عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (أشهد على رسول الله ﷺ لصلّى - صلاة العيد - قبل الخطبة، قال: ثم خطب فرأى أنه لم يُسمع النساء فأتاهن فذكّرهن، ووعظهن، وأمرهن بالصدقة، وبلال باسط ثوبه، فجعلتْ المرأة تلقي الخاتم والخرص والشيء)[3].

تكراره ﷺ القول ثلاثاً لتأكيد مضمونه

وكان ﷺ يكرر حديثه تأكيداً لمضمونه، وتنبيهاً للمخاطب على أهميته، وليفهمه السامع ويتقنه.

---

(1) البخاري (كتاب النكاح - 4700)، ومسلم (كتاب: الرضاع - 2661).
(2) البخاري (الحيض - 302)، ومسلم (الحيض - 499).
(3) البخاري (الجمعة - 908)، ومسلم (صلاة العيدين - 1466).

obeikandl.com

◄ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (تخلف رسول الله ﷺ في سفر سافرناه، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «**ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً**»[1].

التعليم بالتدريب

لم يكن رسول الله ﷺ في جميع المناسبات يلقن الناس تعاليم الإسلام تلقيناً، بل كثيراً ما كان يتركهم لوحدهم يجربون ثم يصحح لهم أخطاءهم. وأشهر دليل على ذلك حديث المسيء صلاته. وهو صحابي دخل المسجد فصلى في ناحية منه ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**وعليك السلام، ارجع فصل فإنك لم تصل**». فصلى وعاد. فعاد النبي ﷺ إلى مقالته تلك.. ثلاث مرات.. فقال الرجل في الثالثة: والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمني. فعلمه رسول الله ﷺ وجعل يعيد صلاته حتى أتقنها.

أيحب أحدكم أن يعرض الله عنه؟

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتانا رسول الله ﷺ في مسجدنا هذا، وفي يده عرجون، فرأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بالعرجون. ثم أقبل علينا فقال: «**أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟**» قال: فخشعنا، ثم قال: «**أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟**» قال: فخشعنا، ثم قال: «**أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟**» قلنا: لا أينا يا رسول الله. قال: «**فإن أحدكم إذا قام يصلي، فإن الله تبارك وتعالى قِبل وجهه، فلا يبصقنّ قِبَل وجهه، ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى، فإن عجلت به بادرة، فليقل بثوبه هكذا**»، ثم طوى ثوبه بعضه على بعض ووضعه على فيه ثم دلكه. ثم قال: «**أروني عبيراً**»، فقام فتى من الحي يشتد إلى أهله، فجاء بخلوق في راحته، فأخذه رسول الله ﷺ، فجعله على رأس العرجون، ثم لطخ به على أثر النخامة[2].

---

(1) البخاري (كتاب: العلم - 58، 94، والوضوء - 158).

(2) مسلم (الزهد والرقائق - 5328)، وأبو داود (الصلاة - 410) واللفظ لمسلم.

في هذا الدرس التربوي.. يُلقي رسول الله ﷺ سؤالاً يخشع له المؤمنون.. ثم يبدأ الدرس العملي يعلمهم كيف يميطون الأذى من بيوت الله.

وقت الصلاة

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ: أن رجلاً سأله عن وقت الصلاة، فقال له: صلّ معنا هذين - يعني اليومين - فلما زالت الشمس أمر بلالاً فأذّن، ثم أمره فأقام الظهر، ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية، ثم أمره فأقام المغرب حين غابت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق ثم أمره فأقام الفجر حين طلع الفجر.

فلما كان اليوم الثاني أمره فأبرد بالظهر، فأبرد بها فأنعم أن يبرد بها (أي أطال الإبراد وأخّر الصلاة)، وصلى العصر والشمس مرتفعة، أخّرها فوق الذي كان، وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق، وصلى العشاء بعد ما ذهب ثلث الليل، وصلى الفجر فأسفر بها.

ثم قال: «**أين السائل عن وقت الصلاة**»، فقال الرجل: أنا يا رسول الله، قال: «**وقت صلاتكم بين ما رأيتم**»[1].

درس عملي ميداني.. علّم فيه الرسول ﷺ أصحابه أوقات الصلاة.

كيف الطهور؟

وفي الحديث عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف الطهور؟

فدعا رسول الله بماء في إناء، فغسل كفيه ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه، فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه، ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه، وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «**هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا أو نقص، فقد أساء وظلم** - أو: **ظلم وأساء**»[2].

---

(1) مسلم (كتاب: المساجد - 969)، وأحمد (باقي مسند الأنصار - 21877).

(2) أبو داود (الطهارة - 116).

كيفية الصلاة

في الحديث عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قام على المنبر، فاستقبل القبلة، وكبّر، وقام الناس خلفه، فقرأ وركع، وركع الناس خلفه، ثم رفع رأسه، ثم رجع القهقرى فسجد على الأرض، ثم عاد إلى المنبر، ثم قرأ، ثم ركع، ثم رفع رأسه، ثم رجع القهقرى حتى سجد بالأرض، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: **«أيها الناس، إنما صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلّموا صلاتي»**[1].

هكذا فاسلخ

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ مر بغلام يسلُخ شاة، فقال له رسول الله ﷺ: **«تنح حتى أريك»**، فأدخل رسول الله يده بين الجلد واللحم، فدحس بها حتى توارت إلى الإبط. وقال: **«يا غلام هكذا فاسلخ»**، ثم مضى وصلى للناس ولم يتوضأ[2].

(8)
التربية بالحدث

من وسائل التربية الفعالة التربية بالحدث. أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه معين. وميزته على التوجيهات الأخرى، أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزاً فتكون أكثر قابلية للتأثر، ويكون التوجيه أفعل وأعمق وأطول أمداً في التأثير من التوجيهات العابرة التي تأتي (على البارد) بغير انفعال[3].

لقد تنزل القرآن منجماً مفرقاً، جواباً لسؤال، أو تعليقاً على حدث كبير هز الجماعة المسلمة من أعماقها.. فإذا بلغ الحدث مبلغه في نفوس العصبة

(1) البخاري (الجمعة - 866)، ومسلم (المساجد - 847).
(2) رواه أبو داود (كتاب الطهارة - 157)، وابن ماجه (كتاب: الذبائح - 3170).
(3) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 2: 151.

المؤمنة.. تنزلت التوجيهات القرآنية توضح لهم وتعلمهم وتوجههم.. وإذا لم يبلغ الحدث مبلغه، ولم تتفاعل معه نفوس المؤمنين التفاعل الكافي.. لجهل بأهمية الأمر.. أو لعدم تقدير خطورته. عندئذ يتأخر الوحي.. ومع انتظار الناس تزداد اللهفة ويتعمق الشوق.. فإذا بلغ التأثر مبلغه في نفوسهم.. تنزل الوحي بالتوجيه الذي يصادف هذا التوهج النفسي.. فلا يتأخرون لحظة في استيعابه وتنفيذه.. ولا ينسونه بعد ذلك أبداً.

الأنفال لله والرسول

مرة واحدة، اختلف المؤمنون على توزيع الأنفال في بدر. حدث كبير في أول معركة كبيرة. في أول نصر عظيم تحرزه العصبة المؤمنة.. يكون الخلاف على الأنفال.. قضية مؤسفة حقاً.. تفاعلت معها النفوس إلى درجة التوهج.. فجاء التوجيه الرباني: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾[1]. مرة واحدة وإلى الأبد..

منهج للبشر

وعندما غفلت الجماعة المسلمة في غزوة أحد، عن حقيقة هذا الدين وطريقته، وأنه لا يتحقق في الأرض، وفي دنيا الناس، بمجرد تنزله من عند الله. لا يتحقق بكلمة (كن) الإلهية، مباشرة لحظة تنزله. ولا يتحقق بمجرد إبلاغه للناس وبيانه. إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر، تؤمن به إيماناً كاملاً، وتستقيم عليه (بقدر طاقتها)، وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك، وتجاهد لهذه الغاية بكل ما تملك.

عندما غفل المسلمون في أُحد عن هذه الحقيقة.. وظنوا أن من مقتضى إسلامهم أن ينتصروا حتماً! وقالوا: أنى هذا؟ جاءهم الرد الحاسم والتوجيه القاطع: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[2]..

(1) سورة الأنفال، الآية: 1.
(2) سورة آل عمران، الآية: 165.

لقد تعلمت الجماعة هذه الحقيقة في هذه الفترة، لا بالكلام ولا بالعتاب، ولكن تعلمتها بالدماء والآلام، ودفعت ثمنها غالياً: هزيمة بعد نصر، وخسارة بعد غنم، وجراحاً لم تكد تدع أحداً معافى، وشهداء كراماً فيهم (سيد الشهداء حمزة)، وأغلى من ذلك كله وأشد وقعاً على الجماعة المسلمة كلها: جرح رسول الله ﷺ وتهديد حياته وهو مفرد في نفر من أصحابه استشهدوا واحداً بعد آخر[1].

حدث مؤلم.. شديد الإيلام.. عاناه المسلمون في أُحد، وفهموا التوجيه القرآني الذي رافقه مرة واحدة وإلى الأبد.

هو عند الله عظيم

قد يمر الحدث الكبير.. ولكن النفوس المؤمنة لم تحس بضخامته وخطورته.. وهنا لابد من توضيح الموقف.. وهذا الذي حدث للمؤمنين في حادث الإفك. ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[2].

كانوا يظنونه حدثاً عادياً مما تحفل به الحياة كل يوم.. فنبههم إلى خطئهم.. وأنه كبيرة من الكبائر.. ويبين لهم ما كان ينبغي أن يكون عليه سلوكهم الصحيح في هذا الموقف.. ثم أعطاهم توجيهاً عنيفاً حاسماً يشتمل على تهديد خفي لهم بالخروج من دائرة الإيمان إن عادوا إلى مثل ما فعلوه.

المربي لا يفتعل الأحداث.. ولكنها تقع باستمرار في ميدان الحياة.. مع الشخص أو الجماعة.. ومهمة المربي الواعي هو التأكد من أن الناس قد فهموا الحدث كما ينبغي.. وإذا تأكد أنهم لم يفهموه فلا بد من شرحه وتبيانه.. ثم يأتي التوجيه التربوي الحاسم ليقع على نفوس متوهجة متفاعلة.. فيكون التأثير الأعمق والأطول أثراً.

---

(1) هذا الدين - سيد قطب، ص: 7.

(2) سورة النور، الآيات: 15-18.

الدنيا أهون عند الله

كان ﷺ ينتهز حدوث بعض المناسبات.. ليعطي التوجيه المطلوب، فيربط بين المناسبة والعلم الذي يريد توجيهه.

◄ عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق، داخلاً من بعض العالية، والناس كنفتيه (جانبيه)، فمر بِجَدْي ميت أسكّ، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**» قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حياً كان هذا السَّكَك عيباً فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟! فقال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»[1].

◄ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سَبْيٌ، فإذا امرأة من السبي تحلّب ثدياها تسعى، إذ وجدت صبياً - لها - في السبي، أخذت فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا، وهي تقدر على أن تطرحه، فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[2].

◄ وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، قال: كنا جلوساً ليلة مع النبي ﷺ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة، كما ترون هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها، فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴿١٣٠﴾﴾**»[3] [4].

انتهز رسول الله ﷺ مشاهدة الصحابة للقمر ليلة البدر، فبين لهم أن رؤية الله تعالى في الآخرة ستكون بهذا الوضوح.

أتعجبون لرحمة الأم؟

رجل يأتي النبي ﷺ، وفي يده شيء ملفوف بكساء. فلما كشفه إذا بأفراخ صغيرة ومعها طائر كبير.. فيسأله النبي ﷺ، ويجيب الصحابي فيقول:

---

(1) مسلم (كتاب: الزهد والرقائق - 5257).
(2) البخاري (الأدب - 5540)، ومسلم (كتاب: التوبة - 4947).
(3) سورة طه، الآية: 130.
(4) البخاري (كتاب: مواقيت الصلاة - 521).

مررت بأشجار بها عشاش طيور، فأخذت أفراخ عش منها.. فجاءت أم الفراخ، فحلقت حول رأسي، فكشفت لها عن الفراخ فوقفت عليها، فلففتها معاً في ثوبي.

وأراد النبي الكريم ﷺ أن يتأكد.. فقال للرجل: «**ضع الفراخ على الأرض**». فوضعها، فلم تطر الطيرة الكبيرة.. بل بقيت في الفراخ!!

ولقد تعجب الجميع من حنان الأم. فقال النبي ﷺ: «**أتعجبون لرحمة أم الفراخ بفراخها**»، قلنا: نعم. قال: «**والله الذي بعثني بالحق، إن الله أرحم بعباده منها**»[1].

لم ينته الدرس التجريبي في التربية بعد، فيأمر رسول الله ﷺ الرجل أن يرجع بالفراخ والأم معها فيضعها في مكانها.

(9)
التربية بالعادة

تؤدي العادة دوراً هاماً وخطيراً في حياة الشعوب والأمم والأفراد. فهي توفر قسطاً كبيراً من الجهد البشري - بتحويله إلى عادة سهلة ميسرة - لينطلق هذا الجهد في ميادين جديدة من العمل والانتاج والإبداع. ولولا هذه الموهبة التي أودعها الله في فطرة البشر، لقضوا حياتهم يتعلمون المشي أو الكلام أو الحساب! ولكنها على عظم مهمتها في حياة الإنسان تنقلب إلى عنصر معوق معطل، إذا فقدت كل ما فيها من وعي وأصبحت أداء آلياً لا تلتفت إليه النفس، ولا ينفعل به القلب. ولقد بدأ الإسلام بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية. واتخذ لذلك إحدى وسيلتين:

إما القطع الحاسم الفاصل، وإما التدرج البطيء، حسب نوع العادة التي يعالجها، وطريقة تمكنها من النفس.

---

(1) أبو داود (كتاب: الجنائز - 2685).

فكل عادة تتصل بأصل التصور والعقيدة والارتباط المباشر بالله، فقد قطعها قطعاً حاسماً من أول لحظة، كالشرك بكل عاداته وتصوراته، وعادة وأد البنات بكل انحرافاتها، وكذلك العادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة.. إلخ.. كان لابد من مواجهتها مواجهة حاسمة.

أما العادات الاجتماعية التي لا تقوم على مشاعر الفرد وحدها، وإنما ترتبط بأحوال اجتماعية واقتصادية متشابكة فقد لجأ فيها الإسلام إلى التدرج البطيء مع استمرار الوعظ والتوجيه واستحياء القلوب.. كالخمر والزنا والربا والرق.. إلخ.

أما كيف تتشكل العادة.. فلها عدة طرق وعدة مراحل..

فأما الإيمان بعد الكفر، فقد كان يستخدم له الهزة الوجدانية المحيية الموحية، التي تنقل النفس فجأة من تصور إلى تصور، ومن شعور إلى شعور، ثم لا يدعها تبرد! ففي الحال يُحولها إلى عادة! عادة مشتبكة بزمان ومكان وأشخاص. فهو ينقل المسلم من بيئته الكافرة إلى بيئة أخرى ليربط بينه وبين مؤمنين آخرين، يتعاطف معهم وتنشأ بينه وبينهم صلات من المودة والقربى التي تعدل قرابة الدم بل تزيد! ويتعود أن يلقى هؤلاء المؤمنين على حديث الإيمان وأفعال الإيمان. فيصلي معهم، وتصبح الصلاة عادة، ويستمع معهم إلى القرآن، ويصبح استماع القرآن عادة. ويتواد معهم وتصبح المودة عادة. ويحمل معهم الكروب، ويصبح احتمال الكروب في سبيل العقيدة عادة! ثم يجاهد معهم الكفار ويصبح الجهاد عادة! وينشئ مجتمعاً تعيش فيه التصورات والفضائل الإسلامية، وبذلك تصبح العادة عملاً فردياً وارتباطاً اجتماعياً في آن واحد، فيضمن لها ذلك الدوام والاستمرار.

والإسلام في كل ذلك يلجأ إلى إثارة الوجدان، وإنشاء الرغبة في العمل. ثم يحوّل الرغبة إلى عمل واقعي.. ثم يحول الرغبة والعمل من مسألة فردية إلى رباط اجتماعي[1].

(1) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب ج1، (ص: 246-250).

ويرى الإمام أبو حامد الغزالي: أن اكتساب العادات والأخلاق الحسنة، إذا لم تكن موجودة في الطبع والفطرة، يتم عن طريق الاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق وبالتعليم والمجاهدة والرياضة.

فمن أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع (مثلاً) وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين.. يتكلف مدة طويلة حتى يصير ذلك خلقاً له وطبعاً فيتيسر عليه[1].

وإذا كان اكتساب العادة عند الجميع ممكناً.. فإنها بالنسبة للطفل أسهل بكثير.. ومن هنا ركز الإسلام على الصبي أن يتعود على الصلاة وهو ابن السابعة.. بينما لا يحاسب عليها إلا بعد البلوغ..

(10)
التربية بالعبادة

العبادة هي الوسيلة الشاملة والإطار العام للتربية، وهي الصلة بين العبد وربه. يقف أمامه موقف العبودية التي من أجلها خُلق الإنسان وبها تحددت غايته في هذه الأرض ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[2]. والعبادة هي الوسيلة التربوية لصياغة الشاب الرباني في كل تصرفاته. وحين سئل الإمام ابن تيمية عن قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴿٢١﴾﴾[3] ما العبادة؟ وما فروعها؟ وهل مجموع الدين داخل فيها. أم لا؟ فأجاب ﷺ بقوله: «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال: الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة».

---

(1) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي ج2، (ص: 62-63).
(2) سورة الذاريات، الآية: 56.
(3) سورة البقرة، الآية: 21.

«وكذلك حب الله ورسوله. وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له. والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، وأمثال ذلك هي من العبادة»[1].

إن تنوع العبادات ذو أهمية تربوية كبيرة. فهي تصوغ جميع جوانب الشخصية الإنسانية من الجانب النفسي والجسمي والمادي والاجتماعي والروحي لدى الإنسان[2].

بعض مناهج التربية يربط القلب البشري ببقعة من الأرض معينة، وبعضها يربطه بفرد من الناس معين، وبعضها يربطه بأسطورة من الأساطير، ثم يكون المنهج كله قائماً على هذه القواعد، فيصطبغ العمل والشعور والفكر والسلوك بهذه الصبغة، ويتجه كله في هذا الاتجاه، ثم ينشأ الفرد على فضائل بعينها مستمدة من هذه القاعدة، نابعة من مفاهيمها، متمشية مع مصالحها. خذ لذلك مثلاً المناهج الإنكليزية، إنها تُنشئ الفرد على كثير من الفضائل، ولكن في حدود بريطانيا..

فإذا انتقل الإنكليزي خارج حدود بلاده، خارج الوثن الذي ربيّ على عبادته، وقام منهج التربية كله على أساسه.. فهنا يفاجئك أن تراه شخصاً آخر لم تعهده من قبل، ترى فيه الأنانية البغيضة والجشع الكريه.

لماذا؟ هل تغيّر؟

كلا. وإنما هو ما زال مخلصاً للوثن الذي يتعبده، ولم يكن قط مخلصاً للإنسانية، لأنه لم يترب تربية إنسانية. ولم يكن قط مخلصاً لله، لأن قاعدة تربيته لم تكن الاتصال الحقيقي بالله.

هذا هو الفارق بين منهج التربية الإسلامية ومناهج التربية الأخرى.. الإسلام يقيم منهجه على أساس العبادة (بمعناها الشامل الواسع)، والمناهج الأخرى تقيمها على أساس عبادة الوثن!

---

(1) العبودية، ص: 38.

(2) وسائل التربية الإسلامية - عجيل جاسم النشمي، ص: 20.

الفرد في خلوته. والناس في جمعهم. في وقت التعبد وفي وقت العمل. في وقت التعامل في تجارة أو صناعة أو سياسة أو حرب أو سلم.. في كل لحظة وفي أي مكان يربي الإسلام الفرد على أن تكون صلته بالله، وتعامله مع الله[1]..

المفهوم الواسع للعبادة

للعبادة مفهوم واسع في الإسلام، فهي كل نوع من أنواع السلوك الإنساني الفطري والمكتسب والفردي والاجتماعي، الذي يؤديه الإنسان بنية صالحة. فالأكل والشرب إذا كانا بنية الوقاية من الضعف وتقوية الجسد لمقاومة الأمراض والدفاع عن المقدسات.. كان الأكل والشرب عملاً يُثاب عليه الإنسان. وكذلك عمل العامل في مصنعه، والموظف في مكتبه، والتاجر في أعماله، والطالب والباحث في دراسته، والعالم المكتشف في مختبره أو مصنعه، والجندي في طائرته أو دبابته أو غواصته، والطبيب في مستشفاه، والمهندس في ميدانه.. كل ذلك نوع من العبادة إذا كان الدافع إليها خدمة الجماعة المؤمنة وتأمين متطلباتها بأمانة وحب وإخلاص وإتقان.. وكذلك إماطة الأذى عن الطريق وإفشاء السلام والإصلاح بين الناس وعيادة المرضى وصلة الأرحام. بل إن النوم والتنزه والرياضة إذا كانت لتقوية الجسد، والترويح عنه فهي عبادة. بل إن إكرام الرجل لزوجته عبادة.. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾[2]. بل إن أعمال التقوى الفردية من صلاة أو صوم أو ذكر.. ليست كافية لتجعل الإنسان مسلماً صالحاً وحدها. بل لابد من عمل اجتماعي في إقامة مجتمع سليم، وتربية صالحة وجهاد بالنفس والنفيس من أجل ذلك[3].

---

(1) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 1: 38.

(2) سورة التوبة، الآيتان 120، 121.

(3) نظام الإسلام، العقيدة والعبادة - محمد المبارك، ص: 196-199.

قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1].

والعبادة تعمل على تهذيب النفس، وإصلاح السلوك في جميع الميادين التربوية:

التربية الجسدية

فالخطوات يمشيها المسلم إلى المسجد خمس مرات في اليوم، والقيام والقعود والركوع والسجود في الصلاة.. والامتناع عن الطعام والشراب ومباشرة النساء في الصيام.. والطواف حول البيت العتيق والسعي بين الصفا والمروة والمشي والهرولة وزيارة المناسك في عرفات ومنى ومزدلفة ورمي الجمرات في الحج..

وإماطة الأذى عن الطريق.. وسعي المسلم في حاجة أخيه.. كلها عبادات حركية رياضية تقوي الجسم وتحرك الأعضاء والجوارح..

رسول الله ﷺ يرشد الشباب فيقول: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**[2]. وقاية للشاب من تصارع هذه القوى الشهوانية بداخله ومحاولتها جره إلى ما لا تحمد عقباه..

التربية العقلية

والصلاة التي هي ركن أساسي في العبادة.. وسيلة هامة في تربية الجانب العقلي للإنسان.. فهو يقرأ القرآن ويركع ويقوم ويسجد ويسبح ويحمد الله. ولكنه يفكر في آيات القرآن التي يقرأها أو يسمعها، إذا قرأ آية تسبيح سبح، أو آية

(1) سورة التوبة، الآيتان 19، 20.

(2) رواه الجماعة عن ابن مسعود.

دعاء دعا، وهو في كل ذلك خاشع متدبر يعلم أنه لن ينال من صلاته إلا ما عقل منها. وفي الصيام تقوية للإرادة.. وبالإرادة يتم تغيير السلوك وإصلاح النفوس.

التربية الروحية

والعبادات على أنواعها.. ليست مجرد أقوال وأفعال وحركات.. ولكنها صلة مع الخالق العظيم.. يستحضر فيها المسلم عظمة الله ويشعر بالقرب منه.. وينسى كل شيء سواه.

فالمسلم ينسى نفسه وهو يقف خاشعاً يصلي.. قدوته النبي ﷺ الذي كان يقول لبلال: **«أرحنا يا بلال»**. ويستشعر قربه وهو يعلم أن الإنسان أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد.. يقرأ كلام الله ويستشعر معيته..

والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم.. وكل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لله وهو يجازي به.. وفي الجنة باب يقال له: الريّان لا يدخله إلا الصائمون وفي الحديث، قال النبي ﷺ: **«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**[1]. والحج دفعة روحية عميقة، ترسخ في أعماق المسلم وتعود معه إلى بلدته يستشعر بعدها أنه خلق جديد كيوم ولدته أمه. إن هذه الشحنة الروحية التي تولدت من مواقف وأحاسيس ودعاء وتضرع وابتهال، وثقت وقربت صلة العبد بربه وأبرمت عهداً جديداً على تغيير من داخل النفس بالطهر ومن خارجها بالعمل الصالح.. **«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**[2]. والزكاة حين يخرجها المسلم من ماله يعطيها إنساناً مستحقاً.. تتطهر بهذا العطاء نفسه ويشعر ببرد الراحة والاطمئنان.. وسيجد ذلك كله عند ربه ثواباً ومغفرة.

التربية الاجتماعية

في الصلاة يقف المؤمنون في المسجد صفاً واحداً لا فرق بين غني وفقير أو

(1) البخاري (كتاب: الصوم - 1768).
(2) البخاري (كتاب: الحج - 1424).

شاب وكبير.. كلهم يقتدي الإمام في نظام رائع.. إذا أخطأ الإمام سدّدوه.. وبعد الصلاة يتحلق المصلون في المسجد يذكرون ويتعلمون ويتعارفون.. في تواصل اجتماعي حميم..

أما الزكاة فهي نظام تكافل اجتماعي فريد.. يقدم فيه الغني نسبة محددة من ماله، ليحصل عليها المحتاج.. ليس تفضلاً من المنفق وإنما فريضة عليه.. وليس ذلة من الآخذ وإنما حق له.. يستأصلون معاً الشحناء والبغضاء التي يسببها العوز والفقر وصراع الطبقات..

وفي الصيام نوع آخر من التربية الاجتماعية.. فالكل ممسك عن الطعام والشراب.. وعندما يظمأ الإنسان الغني ويجوع، يشعر بالآخرين الفقراء في حيه أو بلدته أو في أي بقعة من أرض الإسلام. يشعر بما يشعر به هذا الفقير في أغلب أيام حياته أو في ظروف صعبة تمر به فيرق قلبه ويرهف حسه ويتحرك وجدانه ويمدّ يد العون باذلاً من ماله طواعية ورضاء نفس[1].

والحج.. فريضة اجتماعية سياسية لا مثيل لها.. يقف المسلمون كلهم على صعيد واحد.. لا فرق بين أبيض وأسود ولا بين غني وفقير ولا بين ملك وأجير.. كلهم يلبون ويذكرون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. وفي البيت الحرام والشهر الحرام يتعلم الجميع الصفح والتعايش والسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴿٩٧﴾﴾[2] ويشمل الأمن بالإضافة للإنسان الحيوان والطير والنبات، قال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[3].

وكم تكون التربية عميقة حين ترى عدوك قاتل أخيك أو أبيك أو قريب لك، فلا تجسر نفسك على قتله حتى مجرد النية. إنها تربية امتناع كتربية الصيام. والحج تربية على الشعور بالمسؤولية، ففي تلك البقاع تجتمع الأجناس والألوان واللغات واللهجات من قارات الأرض جمعهم أذان الحج لبيت الله الحرام فلبوا مطيعين، ليشهدوا منافع لهم ومصالح دينية ودنيوية. يشهد المسلم هنا أخوة من

(1) وسائل التربية الإسلامية - عجيل جاسم النشمي، ص: 24.
(2) سورة آل عمران، الآية: 97.
(3) سورة المائدة، الآية: 96.

كل مكان يلتقون معه في الغاية والهدف من هذه الحياة، ولابد أن يكون أحدهما محتاجاً للآخر، للارتفاع من ضعف إلى قوة أو من فقر إلى غنى أو من ذل إلى عز. إن المسلم ليحس في هذا الموقف القوة والغنى والعزة، إن طبيعة التجمعات الكبيرة أن توجد هذه المعاني في النفوس، تشحذ الهمة وتدفع الإيمان وتجدد العزم على تحقيق أمر الله ﷻ في الأرض وخلافته فيها.

يشهد المسلمون في هذا الموقف - التجميعي الفريد أهم قضاياهم المصيرية الاجتماعية والسياسية - لو أحسنوا وتمكنوا من استغلاله. كما كان النبي ﷺ وصحابته من بعده يفعلون. فأول حجة لأصحاب النبي ﷺ وكانت بإمرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، بعث النبي ﷺ علياً بن أبي طالب رضي الله عنه يعلن خبراً سياسياً هاماً في حياة المسلمين يعلن على الناس إلغاء المعاهدات التي كانت بين النبي ﷺ وبين المشركين الناكثين لعهودهم. ويعلن ألا يحج بعد العام مشرك. ولا يطوف بالبيت عريان.

وكان الخلفاء الراشدون ومن بعدهم يستفيدون من هذا الاجتماع الكبير فينصفون المظلومين ويأخذون من القوي للضعيف[1].

النظام في حياة المسلم

والعبادة تعلِّم المسلم النظام.. فهو في ساعات محددة من كل يوم يقف للصلاة.. وفي شهر محدد في السنة يصوم.. وفي شهر محدد في السنة يذهب للحج.. وفي يوم محدد من السنة يخرج زكاة ماله.. هذا التوقيت الدقيق والنظام العظيم يكسب المسلم مزايا إدارية وتنظيمية لا مثيل لها.. ولا يمكن أن تتقدم أمة تهمل وقتها وإدارة زمانها..

المسلم جزء من الكون

إن لارتباط الصيام اليومي بالحركة الشمسية فجراً وغروباً حكمة بالغة، ليظل الصوم قائماً أيام رمضان. ففي كل ساعة من كل يوم مؤمنون في بقعة على وجه الأرض صائمون نهاراً في ضياء الشمس، وهناك في بقعة أخرى على وجه

(1) وسائل التربية الإسلامية - د. عجيل جاسم النشمي، ص: 27.

الأرض مؤمنون آخرون يقومون الليل ويستعدون للصيام. وفي ذلك ما فيه من شعور بالمشاركة الجماعية، وأن المسلم يحيا عملياً عضواً نشيطاً في جماعة المؤمنين التي لا تغيب عنها الشمس هنا وهناك أو هنالك. وكذلك الأمر في حكمة ارتباط الصلاة بالنظام الشمسي اليومي. وفي حكمة ارتباط شهر الحج بالأشهر القمرية..

وفوق هذا وذاك فإن العبادة الإسلامية دافع قوي للإنسان إلى وعي كوني وما فيه مما سخره الله للإنسان.. ففي ذلك فهم للقمر ونظامه والشمس وارتباطها بالأرض. ومنه قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[1]. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾[2]. ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾[3].

فكون الشمس ضياء والقمر نوراً، وأنها لمعرفة عدد السنين والحساب، وأن ذلك لقوم يعلمون.. كل ذلك دفع أكيد للمؤمنين نحو الوعي الكوني، حيث ارتبطت به العبادة في نظام الشمس والقمر والأرض وما إليها[4].

العبادة والسلوك

العبادة غذاء روحي.. وزاد عاطفي.. وتفكر عقلي.. واطمئنان نفسي.. وهي كذلك سلوك عملي.. فلا قيمة لصلاة لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر.. ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.. فالعبادة إن لم تتحول إلى سلوك عملي.. تكون كالخرقة البالية يضرب بها وجه صاحبها.

فالعبادة الإسلامية إنما هي عبادة بنتائجها الإيجابية النافعة في سلامة المعاملة. فإنما الدين النصيحة، وإنما الدين المعاملة.. كما أن الصلاة تنهى عن

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 96.

(2) سورة الرحمٰن، الآيات: (1-5).

(3) سورة يونس، الآية: 5.

(4) الرسول العربي المربي - د. عبد الحميد الهاشمي، ص: 460.

الفحشاء والمنكر، وإذا لم يدع الصائم قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه. ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

(11)
التربية بإحياء الضمير

التربية بإحياء الضمير ورقابة الله ﷻ وتقواه، كان وما يزال أسلوباً تربوياً عميق الغور في النفس المسلمة، حساساً مؤثراً كأبعد ما يكون التأثير.

حياة الضمير أن تجعل الله رقيباً عليك. وأن تكون تَقْوى الله نِبْراساً لأعمالك ومشاعرك وأحاسيسك وهواجس نفسك. لقد أطنب القرآن الكريم في التأكيد على معنى التقوى في مواضيع كثيرة كلها تهدف إلى إحياء الضمير المسلم ويقظته ومراقبة الله ﷻ وإخلاص عبوديته والاستسلام له طواعية ورغبة ورهبة[3]، والمراقبة كما عرفها المحاسبي رحمه الله: علم القلب بقرب الرب. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[4]. وقال أيضاً: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[6].

يقول ابن حجر الهيثمي: وحقيقة التقوى متوقفة على العلم إذ الجاهل لا يعلم

(1) سورة البقرة، الآية: 177.
(2) سورة الحج، الآية: 37.
(3) وسائل التربية الإسلامية (المرجع السابق)، ص: 30.
(4) سورة الحجرات، الآية: 13.
(5) سورة الأنفال، الآية: 34.
(6) سورة البقرة، الآية: 282.

كيف يتقي لا من جانب الأمر ولا من جانب النهي.. إنها مراقبة الله ﷻ في السرّ والعلن.. وفي الحديث عن النبي ﷺ عندما سأل جبريل عليه السلام عن الإحسان قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

طهرني يا رسول الله

في الحديث عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: جاء ماعزٌ ابن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، طهرني.. فقال: «**ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه**». قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله، طهرني حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: «**فيم أطهرك؟**» قال: من الزنى. فسأل رسول الله ﷺ: «**أبه جنون؟**» فأخبر أنه ليس به جنون. فقال ﷺ «**أشرب خمراً؟**» فقام له رجل، فاستنكبه فلم يجد منه ريح خمر. فقال رسول الله ﷺ: «**أزنيت؟**» فقال: نعم. فأمر به فرجم.. قال: ثم جاءت امرأة من غامد فقالت: يا رسول الله، طهرني.. فاستمهلها رسول الله ﷺ حتى تضع حملها وترضعه فرجمها[2].

ما الذي دفع ماعزاً والغامدية لهذا؟

وكان بإمكانهما السكوت دون أن ينتبه لذلك أحد.. إنه الضمير الحي اليقظ المؤمن الذي يعلم أن فضوح الدنيا ولا فضوح الآخرة..

كل إنسان يستطيع أن يهرب أو يتحايل على القانون إلا أولئك الذين استقامت نفوسهم واستقر الإيمان في ضمائرهم وأحبوا أن يتطهروا حتى يقدموا على ربهم يوم القيامة ولا ذنب لهم..

حقي لأخي

إنهما رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ، وهذا أمر عادي في الحياة المعاشية المتشابكة. وكان موضوع الخصام في مواريث بينهما قد (انمحت أدلتها)، ليس عندهما بينة (من شهود أو دليل). وهذا ما يجعل موقف القاضي من

---

(1) متفق عليه.

(2) مسلم (الحدود - 3207).

أشد المواقف عسراً لا سيما إذا كان مربياً مرشداً. وهنا يعمل الرسول المربي إلى إيقاظ الضمائر الحية، لتكون هي الشاهد على أصحابها.. فيقول لهما:

«إنكم تختصمون إليّ.. وإنما أنا بشر.. ولعل بعضكم أن يكون ألحن - أظهر وأفصح - بحجته من بعض - وإنما أقضي بينكم بما أسمع. فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه.. فإنما أقطع له قطعة من النار.. يأتي بها انتقاماً في عنقه يوم القيامة».

هذا هو الإيقاظ التربوي العميق للضمير ليكون هو المحاسب، والإنسان هو أدرى الناس بما يفعله من حق أو باطل إذا تجرد عن الهوى، وأدرك أن الله يعلم.

هنا يبكي الرجلان، وقال كل منهما: (حقي لأخي) فقال رسول الله ﷺ: **«أما إذا قلتما.. فاذهبا فاقتسما ثم استهما - اقترعا - ثم ليحلل كل منكما صاحبه»**[1].

إن الميزان العادي الأدنى الذي أقامه الرسول المربي لتقويم السلوك، هو أن تترك حق أخيك له، فلا تظلمه، وهو أضعف درجات السلامة النفسية. أما الرجلان، وقد عادا إلى صوابهما الإيماني في درجاته السامية، فقد تنازل كل منهما عن حقه - إن كان له حق - لأخيه تبرئة لذمته..

وحيث أن الحق إما أن يكون لأحدهما دون الآخر أو هما شركاء فيه. فالتوجيه النبوي الحكيم طلب إليهما: أن يقتسما ما كان الخصام حوله. ولتكون النفوس أرضى في الأمد البعيد، طلب إليهما أن يستهما، ثم ليسامح كل منهما الآخر.. ولقد أثرت تلك التربية النبوية في إصلاح العلاقات وعادت أحسن مما كانت عليه، حين قالا: (حقي لأخي) رغم أن كلا منهما له حق.. إلا أن ذلك الحق وإن جهد.. فهو لأخيه. وفي هذا أبلغ الأثر في سلامة العلاقات.

فوالله لولا الله

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعس في المدينة فسمع امرأة غاب عنها زوجها تقول:

---

(1) البخاري (كتاب الشهادات - 2483، وكتاب الحيل - 6452).

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقني أن لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله لا شيء غيره لحرك من هذا السرير جوانبه
ولكن تقوى الله عن ذا تصدني وحفظاً لبعلي أن تنال مراكبه

إنها التقوى.. والضمير الحي.. هو الذي صان هذه المرأة وأمثالها عن المعصية.

(12)
التربية بالترغيب والترهيب

في النفس البشرية خطوط متوازية ومتعارضة.. تشكل القاعدة الرئيسة للنفس.. وتتحكم بها وتوجهها. من هذه الخطوط خطا الحب والكره.. وخطا الخوف والرجاء.. فالإنسان بطبعه يخاف ويرجو.. والإسلام دين الفطرة.. فلم يستأصل هذه المعاني من النفس ولم يقمعها، وإنما شجعها وشذبها وقومها.. فجعل الخوف مما ينبغي أن يخاف الإنسان منه.. وجعل الرجاء فيما ينبغي أن يرجوه الإنسان.. يخاف من الله.. ومن النار.. ولا يخاف الظالم أو الموت.. ويرجو رحمة ربه.. ويطمع في جنته.. ولا يرجو الدنيا الزائلة التي تبعده عن طريق الآخرة.

من هنا تأتي فكرة التربية بالمثوبة والعقوبة..

ويخاف العقوبة..

والنفوس البشرية ليست على وتيرة واحدة.. فبعض النفوس هينة سلسة.. سرعان ما تستجيب للخير وتسارع فيه.. ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].. وبعضها نفوس متمردة.. لا تكاد تذعن للخير إلا بصعوبة.. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ

(1) سورة آل عمران، الآية: 114.

وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[1].

ولابد للمربي، ابتداء من الأم التي تتعهد طفلها.. وأسرته التي ترعاه.. ومروراً بالمدرسة والمسجد التي تتابع تربية الفتى وتوعيته.. وانتهاء بالجماعة والمجتمع الذي يهتم بتربية الشاب ليكون إنساناً صالحاً يساهم في بناء المجتمع الإسلامي كما أراد له ربه أن يكون.. لابد لهؤلاء جميعاً أن ينتبهوا إلى قضية التربية بالمثوبة والعقوبة.. فهي على قدر كبير من الأهمية.. وفي نفس الوقت على قدر كبير من الحساسية والضرر إذا لم يحسنوا استخدامها.. أو إذا استخدموها بمقدار أكبر من المطلوب..

وإذا كانت التربية بالمثوبة قضية متفق عليها بين المناهج التربوية المختلفة.. ومعناها أن يثاب الطفل أو التلميذ أو الشاب على كل عمل جيد يفعله.. مثوبة تشجعه للمزيد من الالتزام وتحفزه للمزيد من العطاء..

أما التربية بالعقوبة.. فهي القضية المختلف حولها.. ففي الوقت التي لا تجيز مناهج التربية الغربية العقوبة الحسية.. مهما تكن الأسباب.. فقد أجازها منهج التربية الإسلامية واعتبرها ضرورية عندما تستدعي الضرورة استعمالها.. ما دام تحت عين مرب فاضل وحكيم، كالطبيب يداوي مريضه ولا يهمه إلا شفاءه.

ولقد جعل علماء التربية المسلمون العقوبة على مراحل هي: النصح والإرشاد ثم التأنيب على انفراد، ثم تقريع على رؤوس الأشهاد، ثم الضرب في آخر الأمر إذا لم تصلح جميع الإجراءات السابقة. وجعلوا للضرب حدوداً وشروطاً.

فالمعلم من التلميذ هو بمنزلة الوالد، فما يفعله الوالد في عقاب ابنه وتربيته يفعله المعلم[2]، اقتداء بقول رسول الله ﷺ: «**إنما أنا لكم مثل الوالد لولده**»[3].

ولقد لخص الإمام أبو حامد الغزالي هذه القضية فقال: ثم مهما ظهر من الصبي من خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح

(1) سورة التوبة، الآيات: (75-77).
(2) التربية في الإسلام - أحمد فؤاد الأهواني، ص: 25.
(3) ابن ماجه (كتاب: الطهارة - 309).

به، ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، لا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك عليه ربما يزيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم الأمر فيه ويقال: له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا، وإن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس، ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح[1].

والغزالي كما هو واضح يؤثر المحبة والعطف في تعامله مع المتعلم حتى وإن كان لابد من عقوبة فهو يحبذ العقوبة المعنوية أولا وبشكل يحرص فيه على مراعاة مشاعر الأطفال، ولذلك فهو يوصي المعلم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريقة التعريض ما أمكن ولا يصرح. وبطريقة الرحمة لا بطريق التوبيخ[2].

وينصح الإمام الغزالي بأن لا يعاقب الوالدان أولادهما على كل صغيرة وكبيرة أو على هفوة بحسن نية حتى لا يملوا أو يظهروا العناد والسير في الطريق المضاد. وعلى الأب أن يحفظ هيبته مع ابنه، وعلى الأم أن تتعاون مع الأب في تربية الطفل، فتعظه وتظهر له هفوته، وترشده بحكمة على انفراد حتى تستمر العظة، ويبتعد عن القبح، ويعتاد الخلق الكريم. والطفل شديد الإحساس بطبيعته، سريع التأثر ومن ثم وجب أن نعامله بلين وعطف ونجتهد في تفهيمه السبب في فعل هذا أو تجنب ذاك، ولا نكتفي بالأوامر والنواهي مجردة عن أسبابها[3].

ويلفت الغزالي إلى ضرورة مراعاة ظروف المتعلم وأحواله البدنية والنفسية

(1) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي 3: (78-79).
(2) إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي 3: 71.
(3) التربية عند الإمام الغزالي - أيوب دخل الله، ص: 248.

والعقلية أثناء عملية العقاب.. لأن ما يمكن أن يكون دواء لواحد قد يكون داء لآخر[1].

وعلى المربي

أن لا يتأخر عن مدح الفتى إذا أجاد التصرف ولو مصادفة أو أجاد عملاً معيناً، بدلاً من أن يحطم معنوياته بالسخرية، أو ترك الفرصة تضيع دون استغلالها لإثابة الفتى ومدحه أمام الآخرين وتشجيعه على الاستمرار.

وعليه أن يستخدم الترهيب والتحذير فينتقل من رفق ولين إلى تبصير بسوء العاقبة ثم مقارنة بين الطالح والصالح كالأعمى والأصم والسميع والبصير، ثم يبرز محاذير السير في الطريق المعوج أو عاقبة الإهمال أو عاقبة الإفساد أو عاقبة ترك الواجبات أو الولوغ في المحرمات[2].

---

(١٣)

طرق غير مباشرة في التربية

في الإطار النفسي البحت ممتزجاً مع واجب التربية النفسية والسلوكية.. نستطيع أن نفهم كثيراً من أبعاد ذلك الشعار النبوي التربوي:

«ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا..».

إنها على طريقة - إياك أعني واسمعي يا جارة - وإنه الأسلوب الحكيم، الذي تغني فيه الإشارة، عن صريح العبارة.

كان الرسول المربي ﷺ ذات يوم جالساً مع أصحابه.. ينتظرون الصلاة.. بعد أن أحضروا وليمة أكلوا فيها جزوراً.. فانبعثت في المجلس رائحة مؤذية.

ولا شك أن صاحب الريح قد أحس بحرج شديد. فكل من كان جالساً كان ينتظر الصلاة وعلى وضوء أيضاً، وليس الوقت وقت توجيه عظات لمن فعل ذلك

---

(1) مدارج السالكين - الغزالي، ص: 155.

(2) المراهقون - سمير الراضي، ص: 124.

ألا يفعل وأن عليه أن يجدد الوضوء.. ذلك هو الموقف النفسي التربوي في حساسيته المتشعبة، وحتماً فإن ذلك الرجل سيعرفه الآخرون.. إذا قام ليتوضأ ولابد أن يفعل ذلك.

هنا يتوجه المربي إلى الجالسين جميعاً، ليقول:

«من أكل لحم جزور، فليتوضأ».

قال الصحابة الحاضرون.. كلنا.. كلنا أكلنا لحم جزور يا رسول الله.. فقال الرسول ﷺ: **«إذن كلكم يتوضأ»**.

وقام الحاضرون جميعاً للوضوء.. وفيهم ذلك الذي نال درساً توجيهياً في أدب السلوك الاجتماعي.. مع احترام كامل لحساسيته، وعدم إحراجه.

إنه الذكاء المؤدب الذي يعتبر من أهم صفات المرشد النفسي، أو الموجه التربوي، أو القائد المصلح[1].

(1) الرسول العربي المربي - د. عبد الحميد الهاشمي، ص (150-160).

obeikandl.com

خلاصة الفصل التاسع

أساليبه في التربية

(1) القدوة.

(2) التوجيه (الموعظة).

(3) التربية بالتدرج.

(4) ضرب المثل.

(5) القصة.

(6) التربية بالحوار والمساءلة.

(7) الممارسة والعمل.

(8) التربية بالحدث.

(9) التربية بالعادة.

(10) التربية بالعبادة.

(11) التربية بإحياء الضمير.

(12) الترغيب والترهيب.

(13) طرق غير مباشرة.

obeikandl.com